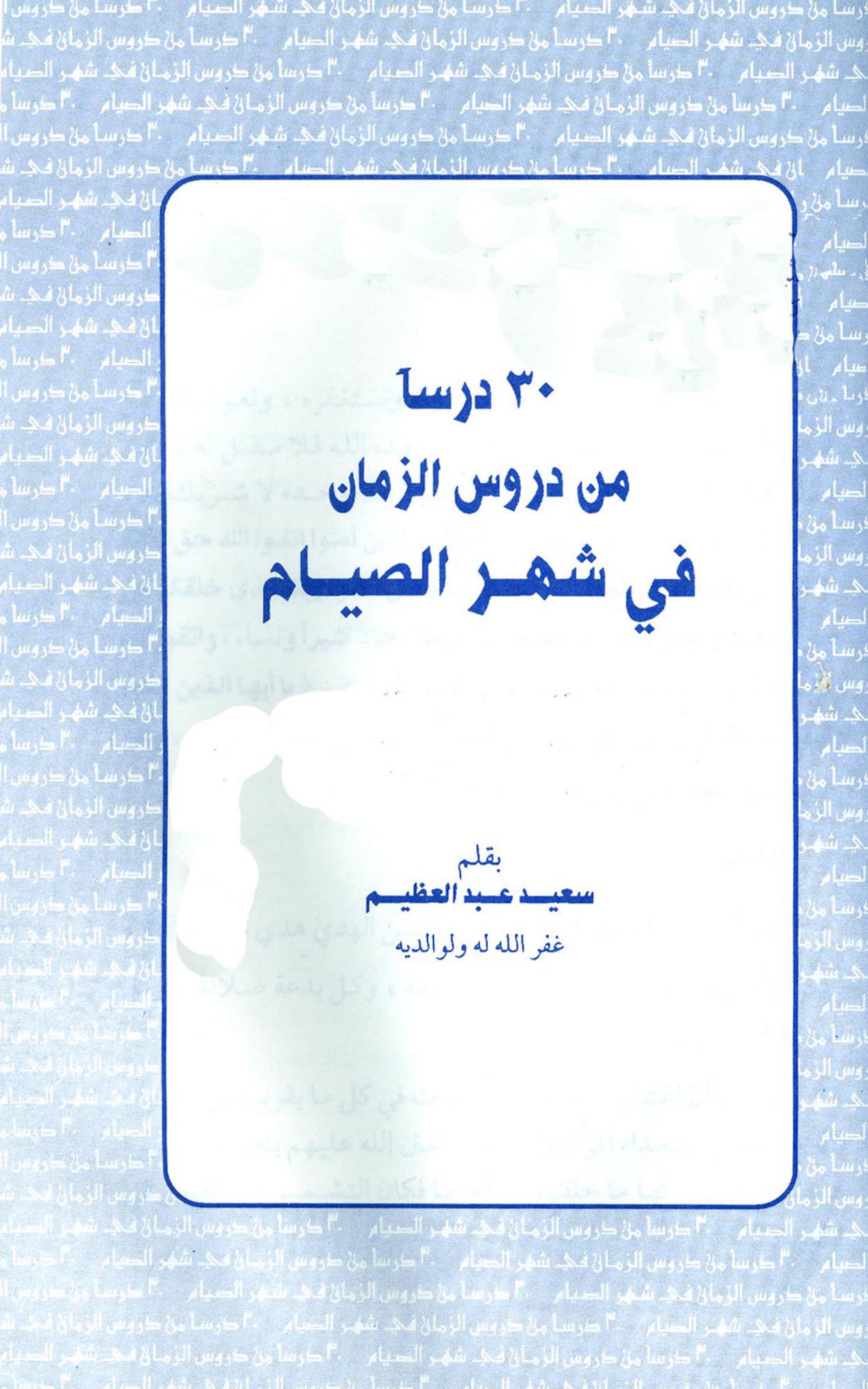


٣٠ درساً
من دروس الزمان
في شهـر الصيـام

بقلم
سعيـد عـبد العظيـم
غفر الله له ولوالديه

٣٠ درساً
من دروس الزمان
في شهر الصيام

بقلم
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه



الطبعة الأولى
بإذن من المؤلف

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

الإخراج الفني/ جمال بن محمد

الناشر

دار علماء السلف

للطباعة والنشر والتوزيع

ج.م.ع اسكندرية - سموحه - شارع العريش

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ ، ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾ ، ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾ .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

لا شك أن اغتنام الأنفاس واللحظات في كل ما يقرب من رضوان الله هو عمل السعداء الموفقين ، الذين امتن الله عليهم بنعمة البصيرة فأبصروا في ضوئها ما خلقوا من أجلها فكان التشمير والتنافس في الخير .

إن لله عبـــــاداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنة

نظروا فيها فلما علموا إنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

فهذا الشهر المبارك بأيامه الفاضلة يبعث على التفكر ويدعو إلى التذكر لما فيه من أحكام ولما ارتبط به من وقائع وأحداث وعظات ، وقد خص الله بالآيات كل صبار شكور لأنه يعتبر بها ولا يغفل عنها كما قال : ﴿ **إنما أنت منذر من يخشاها** ﴾ وإن كان منذراً للجميع وقال سبحانه : ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ أي في التذكير بأيام الله دلالات لهذا الصنف المحمود من الناس .

وقد أمر الله نبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقال : ﴿ **وذكرهم بأيام الله** ﴾ أي : قل لهم قولاً يتذكرون به أيام الله تعالى ، وعظهم بما سلف في الأيام الماضيةلهم وبما كان فيها من النعمة والمحنة ، ودل هذا على جواز الوعظ المرقق للقلوب ، المقوي لليقين الخالي من كل بدعة ، والمنزه عن كل ضلالة وشبهة . قال تعالى : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ ولذلك كان هذا التذكير ، وقد حرصت فيه على ربط المعاني الواردة في رمضان بسائر الأمور الإيمانية التي يحتاجها المسلم في كل آن وحين وسميته : « دروس الزمان في شهر الصيام » راجياً الأجر والثواب من الله ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ والكتاب عبارة عن ثلاثين درساً ومقدمة وخاتمة ، وذلك لأن الشهر العربي لا يزيد عن الثلاثين وقد ينقص وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « **شهرا عيد لا ينقصان : رمضان وذو الحجة** » رواه مسلم ، وذلك في الأجر حتى وإن كان الشهر تسعة وعشرين يوماً .

فما كان فيه من إحسان وخير فهو بتوفيق الله وإن كان غير ذلك فهو من نفسي ومن الشيطان والله منه بريء ، والله أسأل أن ينفعنا به وسائر إخواننا المسلمين ، اللهم آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سعيد عبد العظيم

الأسكندرية في ٢٩ جمادي الآخرة

١٤١١ هـ

الدرس : الأول

الصيام : معناه وحكمه وفضله وثبوت الرؤية

الصوم والصيام في اللغة يطلق على الإمساك : قال تعالى : ﴿ **إني نذرت للرحمن صوماً** ﴾ أي إمساكاً عن الكلام ، وفي الشرع كما قال الحافظ في الفتح : (إمساك مخصوص في زمن مخصوص عن شيد مخصوص وبشرائك مخصوصة) أو هو كما قال القرطبي في تفسيره : إمساك عن الأكل والشرب والجماع ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله تعالى .

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه زاد المعاد : أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفر المستقيمة شرعه الله لعباده رحمة بهم وإحساناً إليهم وحمية لهم وجنة وكان هدي رسول الله ﷺ فيه أكمل الهدى وأعظم تحصيل للمقصود وأسهل على النفوس ، ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة وألفت أوامر القرآن فنقلت إليه بالتدريج . وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة ، فتوفى رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات وفرض أولاً على وجه التخيير بينه وبين أن يطعم عن كل يوم مسكيناً ، ثم نقل من ذلك التخيير إلى تحتم الصوم وجعل الإطعام للشيخ الكبير والمرأة إذا لم يطيقا الصيام فإنهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكيناً ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا ويقضياه .

وقد بين أيضاً أن الصوم كان له رتب ثلاث ، إحداها : إيجابه

بوصف التخيير . والثانية : تحتمه ، لكن كان الصائم إذا نام قبل أن يطعم حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة فنسخ ذلك بالرتبة الثالثة : وهي التي استقر عليها الشرع إلى يوم القيامة .

حكم الصيام

ينقسم الصيام إلى : صيام فرض ، وصيام تطوع .

وصيام الفرض عبارة عن ثلاثة أقسام : (صوم رمضان وصوم الكفارات ، ككفارة اليمين وكفارة الظهار ، وصوم النذر) .

وصوم رمضان واجب بالكتاب والسنة والإجماع وذلك لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان** » متفق عليه .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أتاكم رمضان شهر مبارك فرض عليكم صيامه** » رواه أحمد بسند صحيح .

والمفطر عمداً في رمضان دون عذر شرعي يظن به الزندقة والإخلال وهو شر من الزاني وشارب الخمر كما بين الإمام الذهبي .

فضله

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **« أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن أمة من الأمم قبلها ، خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطرون ، ويزين الله كل يوم ويقول : يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك ، وتصفد فيه ممردة الشياطين فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره ويغفر له في آخر ليلة »** ، قيل : يا رسول الله أهي ليلة القدر ؟ قال : **« لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله »** .

فشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، شهر محفوف بالرحمة والمغفرة والعتق من النار .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به . والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه »** وفي رواية لمسلم : **« كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة بعشر أمثاله إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي »** .

وعن عبد الله بن عمرو : أن رسول الله ﷺ قال : **« الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : أي رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار**

فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» رواه البيهقي وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي . وعن سهل بن سعد : أن النبي ﷺ قال : « **إن للجنة باباً يقال له الريان يقال يوم القيامة : أين الصائمون ؟ فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب** » رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر** » رواه مسلم .

وعن أبي أمامة قال : قلت : يا رسول الله ، مرني بعمل قال : « **عليك بالصوم فإنه لا عدل له** » رواه النسائي وابن خزيمة والحاكم وصححه وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » رواه البخاري ومسلم .

بماذا يثبت رؤية الهلال ؟

يثبت رؤية الهلال بشهادة عدل ذكر أو أنثى ، أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته فصام وأمر الناس بصيامه** » رواه أبو داود ولحاكم وابن حبان وصححاه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً** »

رواه البخاري ومسلم .

وإذا رأى رجل هلال رمضان وجب على المسلمين جميعاً أن يصوموا لعموم قوله ﷺ : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** » .

ويسن عند روية الهلال أو العلم به أن نقول : « الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى ، ربنا وربك الله » رواه الدارمي بسند صحيح .

اختلاف المطالع

ذهب أغلب الأئمة إلى أنه لا عبرة باختلاف المطالع ، فمتى رأى الهلال أهل بلد وجب الصوم على جميع البلاد لقوله ﷺ : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** » وهو خطاب للأمة جمعاء ، فمن رآه منهم في أي مكان كان ذلك رؤية لهم جميعاً ، والاعتبار ببلوغ العلم بالرؤية في وقت يفيد فإذا رؤي بمكان لا يمكن وصول خبره إليهم إلا بعد مضي الأول فلا قضاء عليهم كما بين ابن تيمية ، وقد أوضح أنه ما زال في عهد الصحابة والتابعين يرى الهلال في بعض أمصار المسلمين بعد بعض فإن هذا من الأمور المعتادة التي لا تبديل لها ولابد أن يبلغهم الخبر في أثناء الشهر فلو كانوا يجب عليهم القضاء لكانت هممهم تتوفر على البحث عن رؤيته في سائر بلدان الإسلام كتوفرها على البحث عن رؤيته في بلده ولكان القضاء يكثر في أكثر الرمضانات ومثل هذا لو كان لنقل ولما لم ينقل دل على أنه لا أصل له وحديث ابن عباس يدل على هذا ، وقال : نتخلص أنه من بلغه رؤية الهلال في الوقت الذي يؤدى بتلك الرؤية الصوم أو الفطر أو المنسك وجب اعتبار ذلك بلا شك والنصوص وآثار السلف تدل على ذلك . والتكليف يتبع العلم فإذا لم يكن علمه لم يجب

صومه ، ووجوب القضاء إذا كان الترك بغير تفريط يفتقر إلى دليل ففي حق من لم ير بالسماع ومن لا رؤية له ولا سماع فلا إهلال له ، وفي الحديث : « **صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون** » رواه الترمذي وقال : حسن غريب ورواه أبو داود وابن ماجة .

ولهذا فالإنسان يصوم ويفطر مع الناس وهذا أظهر الأقوال ولو قدر وأفطر ثم تبين أن الهلال قد رؤي في مكان آخر أو ثبت نصف النهار لم يجب عليه القضاء وهذا إحدى الروايتين عن أحمد فإنه إنما صار شهراً في حقهم من حين ظهر واشتهر ومن حينئذ وجب الإمساك كأهل عاشوراء الذين أمروا بالصوم في أثناء اليوم ولم يؤمروا بالقضاء على الصحيح وحديث القضاء ضعيف .

ولا يجوز العمل بالحسابات الفلكية فالمعتمد على الحساب في الهلال كما أنه ضال في الشريعة مبتدع في الدين فهو مخطىء في العقل وعلم الحساب ولا ريب أنه ثبت بالسنة الصحيحة واتفاق الصحابة أنه لا يجوز الاعتماد على حساب النجوم كما ثبت عنه ﷺ في الصحيحين أنه قال : « **إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** » وقد اتفق العلماء على أن من رأى النبي ﷺ في منامه فقال له : هذا اليوم هو أول يوم من رمضان أنه لا يعمل بهذه الرؤيا فمدار الأمر على ثبوتها بالعين البصرية .

وبعد عباد الله : هيا بنا نتعلم أمر ديننا حتى تصح عبوديتنا لربنا ونتعرف على أركان الصيام وآدابه ومستحباته فنلتزمها ، وما الذي يبطله ويفسده من أعمال فنجتنبها ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه : من رأى

أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورأيه . وقال بعض السلف : « إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله فلا بورك لي في شمس ذلك اليوم .

فيا أخي جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه محيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء واجتهد رحمك الله في إتقان الصيام وحفظ حدوده واسأل الله من فضله .

الدرس : الثاني

أركان الصوم - أصناف الناس فيه - مبطلاته مباحاته - مستحباته

أركان الصوم : للصيام ركنان :

١ - الإمساك عن المفطرات : (الأكل والشرب والجماع) وذلك من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس لقوله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾ والخيط الأبيض هو بياض النهار ، والخيط الأسود هو سواد الليل .

٢ - النية : لقوله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** ﴾ ، وقوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى** » رواه البخاري .

ولابد أن تكون قبل الفجر من كل ليلة من ليالي رمضان ، ومحلها القلب حيث لا دخل للسان فيها لقوله ﷺ : « **من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له** » رواه أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد صحيح من حديث حفصة رضي الله عنها .

والنية تصح في أي جزء من أجزاء الليل فمن تسحر بالليل قاصداً الصيام تقرباً إلى الله بهذا الإمساك فهو ناو ، ومن عزم على الكف عن المفطرات أثناء النهار مخلصاً لله لهو ناوٍ كذلك وإن لم يتسحر .

أما صيام التطوع فتجزىء فيه النية من النهار إن لم يكن قد طعم لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

على من يجب الصيام

أجمع العلماء على أنه يجب الصيام على المسلم العاقل البالغ الصحيح المقيم ، ويجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض والنفاس ، فلا يجب الصيام على الكافر والمجنون والصغير والمسافر والمريض والحائض والنفساء .

١- صيام الصبي :

عن الربيع بنت معوذ قالت : أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : « **من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم** » قالت : فكنا نصوم بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف) فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار » رواه البخاري ومسلم وفي الحديث : « **رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يفيق** » رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم .

وبلوغ الذكر بواحد من أمور ثلاثة :

(١) إنزال المني باحتلام أو غيره .
(٢) نبات شعر العانة .
(٣) بلوغ تمام خمسة عشرة سنة . وبلوغ الأنثى يحصل بما يحصل به بلوغ الذكر وزيادة أمر رابع وهو الحيض .

فينبغي لولي الأمر أن يأمر صغاره بالصيام ليعتادوه من الصغر ماداموا مستطيعين له وقادرين عليه . والرحمة الحقيقية بالصغار تكمن في القيام بواجب تربيتهم على شعائر الإسلام وتعويدهم الطاعات منذ الصغر ليألفوها بعد بلوغهم اقتداءً بالسلف الصالح .

٢ - أما الكافر :

فلا يصح منه الصيام ولا يجب عليه لأنه ليس أهلاً للعبادة فإذا أسلم في أثناء شهر رمضان لم يلزمه قضاء الأيام الماضية أما إن أسلم في أثناء يوم منه لزمه إمساك بقية اليوم .

٣ - المجنون :

وهو فاقد العقل فلا يجب عليه الصيام فإن كان يتردد بين حالة إفاقة وحالة جنون فيلزمه الصيام في حالة إفاقته دون حال جنونه ولا يلزمه قضاء اليوم الذي حصل فيه الجنون ، ويلتحق الهرم الذي بلغ الهذيان وسقط تمييزه بهذا الصنف .

٤ - من يرخص لهم في الفطر وتجب عليهم الفدية :

يرخص الفطر للشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى شفاؤه أو برؤه ، هؤلاء جميعاً يرخص لهم في الفطر ، إذا كان الصيام يجهدهم ويشق عليهم مشقة شديدة في جميع فصول السنة وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكيناً من أوسط ما يطعمون .

قال البخاري رحمه الله : وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام فقد أطعم أنس بعد ما كبر عاماً أو عامين كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً وأفطر .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً رواه البخاري .

وإن أطعم وأخرج الأفضل فهو أفضل وإن أطاق الصيام صام ، قيل للأحنف بن قيس : إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال : إني أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذابه .

والمريض الذي لا يرجى برؤه كصاحب السرطان والفشل الكلوي والهبوط الحاد في القلب ونحو ذلك فلا يجب عليه الصيام وحكمه حكم الشيخ الكبير ، قال تعالى : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ .

ويلتحق بهذا الصنف الحبلى والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو أولادهما أفطرتا وعليهما الفدية ولا قضاء عليهما عند ابن عمر وابن عباس ، ومعرفة الضرر يكون بالتجربة وبغلبة الظن أو بإخبار الطبيبة الثقة .

ففي الحديث عن مالك الكعبي قال : قال رسول الله ﷺ « **إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبلى والمرضع الصوم** » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وإسناده جيد .

وروى أبو داود عن عكرمة أن ابن عباس قال ، في قوله تعالى : ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكيناً والحبلى والمرضع إذا خافتا أفطرتا وأطعمتا . رواه البزار .

وفي الموطأ أن عبد الله بن عمر سئل عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها أو اشتد عليها الصيام ؟ فقال : تفطر وتطعم كل يوم مسكيناً : مداً من حنطة بمد النبي ﷺ ، وله شواهد بمعناه منها ما رواه الدارقطني عن ابن عمر أن امرأته سألته وهي حبلى فقال : أفطري وأطعمي عن كل يوم مسكيناً ولا تقضي .

وروى الطبري أيضاً أن ابن عباس رأى أم ولد له حاملاً أو مرضعاً فقال : أنت بمنزلة الذي لا يطيقه عليك أن تطعمي مكان كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليك . ورواه الدارقطني بمعناه وصحح إسناده .

والمرأة المتزوجة غالباً ما تكون حاملاً ثم مرضعاً ثم حاملاً ثم مرضعاً وهكذا سنين كثيرة بصورة متواصلة لا فاصل بينها .

وحديث ابن عمر وابن عباس السابقين الموقوفين الصحيحين لهما حكم المرفوع لرسول الله ﷺ .

٥ - من يرخص لهم في الفطر ويجب عليهم القضاء ك

ويباح الفطر للمريض الذي يرجى برؤه والمسافر ، ويجب عليهما القضاء قال تعالى : ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾ .

والمريض الذي يرجى برؤ مرضه له ثلاث حالات :

(١) أن لا يشق عليه الصوم ولا يضره فيجب عليه الصوم لأنه ليس له عذر يبيح الفطر وهذا قول الجمهور .

(٢) أن يشق عليه الصوم ولا يضره فيفطر ويكره له الصوم مع المشقة وفي الحديث : « **إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته** » رواه أحمد وابن حبان وابن خزيمة .

(٣) أن يضره الصوم فيجب عليه الفطر ولا يجوز له الصوم لقوله تعالى : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ ولقول النبي ﷺ : « **إن لنفسك عليك حقاً** » رواه البخاري .

والمسافر الذي يرخص له بالفطر هو الذي لم يقصد بسفره التحيل

على الفطر فإن قصد ذلك فالفطر عليه حرام والصيام عليه واجب حينئذ ، فإذا لم يقصد التحيل فهو مخير بين الصيام والفطر سواء طالت مدة سفره أم قصرت ، وسواء كان سفره طارئاً لغرض أم مستمراً كسائقي الطائرات وسيارات الأجرة وسواء كان مرتاحاً في سفره أم متعباً قال حمزة الأسلمي : يا رسول الله أجد مني قوة على الصوم في السفر ، فهل عليّ جناح ؟ فقال : « **هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه** » رواه مسلم .

ومن أفطر في سفره فلا حرج عليه ولا تثريب وهو محسن إن شاء الله وإذا صام وتحمل المشقة صح صومه إلا أنه يكره له ذلك لإعراضه عن الرخصة التي يحبها الله وقد يلحقه بذلك ضرر .

وقد كان بعض الصحابة يصوم على عهد رسول الله ﷺ وبعضهم يفطر متابعين في ذلك فتوى الرسول ﷺ . فإن كان صاحب سيارة الأجرة يشق عليه في رمضان في السفر من أجل الحر مثلاً فإنه يؤخر إلى وقت يبرد فيه الجو وتيسر فيه الصيام عليه ، والأفضل للمسافر فعل الأسهل عليه من الصيام والفطر ، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن .

وأما إذا نوى الصوم وهو مقيم ثم سافر في أثناء النهار فقد ذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز الفطر له وأجازه أحمد وإسحاق ، وهو الصحيح ، وذلك لما رواه الترمذي وحسنه عن محمد بن كعب قال : أتيت في رمضان أنس بن مالك وهو يريد سفراً وقد رحلت له راحلته ولبس ثياب السفر فدعا بطعام فأكل ، فقلت له : سنة ؟ فقال : « سنة »

ثم ركب .

وعن عبيد بن جبير قال : ركبت مع أبي بصرة الغفاري في سفينة من الفسطاط (مصر القديمة) في رمضان فدفع ثم قرب غداءه ثم قال : اقترب فقلت : ألست بين البيوت ؟ فقال أبو ببصرة : « أرغبت عن سنة رسول الله ﷺ » رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات .

قال الشوكاني : والحديثان يدلان على أن المسافر له أن يفطر قبل خروجه من الموضع الذي أراد السفر منه .

وإذا قدم المسافر إلى بلده في نهار رمضان لم يصح صومه ذلك اليوم إذ الصوم الواجب لا يصح إلا من طلوع الفجر ، وقد اختلف العلماء في الإمساك بقية اليوم ومذهب مالك والشافعي ورواية عن الإمام أحمد أن من حل له لأكل أول النهار بعذر حل له الأكل آخره . ولكن لا يعلن أكله أو شربه لخفاء سبب الفطر فيساء به الظن أو يقتدي به ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : « من أكل أول النهار فليأكل آخره » ويلتحق بالمريض ، والمسافر من غلبه الجوع أو العطش فخاف الهلاك لزمه الفطر وإن كان صحيحاً مقيماً وعليه القضاء .

٦ - من يجب عليه الفطر والقضاء معاً :

اتفق الفقهاء على أنه يجب الفطر على الحائض والنفساء ويحرم عليهما الصيام وإذا صاما لا يصح صومهما ويقع باطلاً وعليهما قضاء ما فاتهما .

وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت : « كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة »

وإذا ظهر الحيض منها وهي صائمة ولو قبل الغروب بلحظة بطل

صوم يومها ولزمها قضاؤه إلا أن يكون صومها تطوعاً فقضاؤه تطوع لا واجب .

وإذا طهرت من الحيض في أثناء نهار رمضان لم يصح صومها بقية اليوم . وإذا طهرت في الليل في رمضان ولو قبل الفجر بلحظة وجب عليها الصوم لأنها من أهل الصيام ويصح صومها حينئذ ، وإن لم تغتسل إلا بعد طلوع الفجر كالجنب إذا صام ولم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر فإنه يصح صومه لقول عائشة رضي الله عنها : « كان النبي ﷺ يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يصوم في رمضان » متفق عليه .

والنفساء كالحائض في جميع ما تقدم .

٧ - الفطر لدفع الضرورة والتقوى على الجهاد :

من احتاج للفطر لدفع ضرورة غيره كإنقاذ معصوم من غرق أو حريق أو هدم أو نحو ذلك فإذا كان لا يمكن إنقاذه إلا بالتقوى عليه بالأكل والشرب جاز له الفطر ، بل وجب حينئذ لأن إنقاذ المعصوم من الهلكة واجب ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ويلزمه قضاء ما أفطر ، ومثل ذلك من احتاج إلى الفطر للتقوى به على الجهاد في سبيل الله وقتاله العدو فإنه يفطر ويقضي ما أفطر لما ورد في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا » وكانت عزمة فأفطرنا ، وكل من جاز له الفطر بسبب مما تقدم فإنه لا ينكر عليه إعلانه فطره إذا كان سببه ظاهراً كالمريض والكبير الذي لا يستطيع الصوم وأما إن كان سبب فطره خفياً كالحائض ومن أنقذ معصوماً من هلكة فإنه يفطر سراً ولا يعلن فطره لئلا يجر التهمة إلى نفسه ولئلا يغتر به الجاهل فيظن أن الفطر جائز بدون عذر .

ما يبطل الصيام

ما يبطل الصيام قسمان :

١ - ما يبطله ويوجب القضاء .

٢ - ما يبطله ويوجب الكفارة والقضاء .

فأما ما يبطله ويوجب القضاء فقط فهو ما يأتي :

(١) الأكل والشرب عمداً :

فإن أكل أو شرب ناسياً أو مخطئاً أو مكرهاً فلا قضاء عليه ولا كفارة .

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه** » فإنما أطعمه الله وسقاه » رواه الجماعة .

وروى الدارقطني والبيهقي والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **من أفطر في رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة** » قال الحافظ ابن حجر : إسناده صحيح ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال : « **إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم .

(٢) القيء عمداً :

فإن غلبه وذرعه القيء فلا قضاء عليه ولا كفارة فعن أبي هريرة : أن النبي ﷺ قال : « **من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ومن استقاء عمداً فليقض** » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه .

(٣) الحيض والنفاس :

ولو في اللحظة الأخيرة قبل غروب الشمس وهذا مما أجمع العلماء عليه .

(٤) الاستمناء :

سواء كان سببه تقبيل الرجل لزوجته أو ضمها إليه أو كان باليد فهذا يبطل الصوم ويوجب القضاء ، وكذلك إذا قبل زوجته أو ضمها فأمذى فإن ذلك يفسد صومه عند أكثر العلماء كما قال ابن تيمية . أما إن خرج المني بمجرد النظر أو الفكر فيكون مثل الاحتلام نهاراً في الصيام لا يبطل الصوم ولا يجب فيه شيء .

(٥) **تناول ما لا يتغذى به من المنفذ المعتاد إلى الجوف** مثل تعاطي الملح الكثيد فهذا يفطر في قول عامة أهل العلم .

(٦) **ومن عقد العزم على الفطر** وهو صائم بطل صومه وإن لم يتناول مفطراً فإن النية ركن من أركان الصيام ، فإذا نقضها قاصداً الفطر ومعتمداً له انتقض صيامه .

مسائل هامة

١ - لا يجوز تعميم القول بإباحة الفطر للطلاب الذين يؤدون الامتحانات ولا بد من مراجعة متى يجب الصيام ومتى يرخص في الفطر .

٢ - سئل ابن عباس رضي الله عنهما فقيل له : إني آكل فإذا ماشككت أمسكت فقال : كل ما شككت حتى لا تشك .

٣ - إذا أكل أو شرب أو جامع ظاناً غروب الشمس أو عدم طلوع الفجر

فظهر خلاف ذلك فإن صومه صحيح ولا قضاء عليه لقول الله تعالى : ﴿ **ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم** ﴾ ولقول رسول الله ﷺ : « **إن الله وضع عن أمتي** . . . . » الحديث .

وعن زيد بن وهب قال : أفطر الناس في زمن عمر بن الخطاب فرأيت عساساً (أقداحاً ضخاماً) أخرجت من بيت حفصة فشربوا ثم طلعت الشمس من سحاب فكأن ذلك شق على الناس فقالوا : « نقض هذا اليوم فقال عمر : لِمَ ؟ والله ما تجانفنا لإثم » .

وروى البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : أفطرنا يوماً من رمضان ، في غيم على عهد رسول الله ﷺ ، ثم طلعت الشمس .

قال ابن تيمية : وهذا يدل على شيئين :

الأول : يدل على أنه لا يستحب مع الغيم التأخير إلى أن يتيقن الغروب فإنهم لم يفعلوا ذلك ولم يأمرهم به النبي ﷺ والصحابة مع نبيهم أعلم وأطوع لله ولرسوله ممن جاء بعدهم .

والثاني : يدل على أنه لا يجب القضاء فإن النبي ﷺ لو أمرهم بالقضاء لشاع ذلك ، كما نقل فطرهم فلما لم ينقل دل على أنه لم يأمرهم به .

ما يبطل الصيام ويوجب القضاء والكفارة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : هلكت يا رسول الله قال : « **وما أهلكك** ؟ قال : وقعت على امرأتي في رمضان : فقال : **هل تجد ما تعتق رقبة** : قال : لا ، قال : **فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين** قال : لا ، قال : **فهل تجد ما تطعم ستين**

مسكيناً ؟ قال : لا . قال : ثم جلس فأتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر فقال : **تصدق بهذا** ، قال : أعلى أفقر منا ؟ فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ، وقال : « **اذهب فأطعمه أهلك** » رواه الجماعة .

فالجماع لا غير عند الجمهور هو الذي يوجب القضاء والكفارة إذا حدث نهار رمضان . وقد ذهب جمهور العلماء أيضاً إلى أن الكفارة لا تسقط بالإعسار بل تصبح ديناً في ذمة صاحبها إلى حال اليسار .

قضاء رمضان

فقضاء رمضان لا يجب على الفور بل يجب وجوباً موسعاً ، في أي وقت وكذلك الكفارة .

فقد صح عن عائشة : « أنها كانت تقضي ما عليهامن رمضان في شهر شعبان » رواه أحمد ومسلم ، ولم تكن تقضيه فوراً عند قدرتها على القضاء .

فكل من لزمه القضاء من الأقسام السابقة فإنه يقضي بعدد الأيام التي أفطر لقوله تعالى : ﴿ **فعدة من أيام أخر** ﴾ فإن أفطر جميع الشهر لزمه جميع أيامه فإن كان الشهر ثلاثين يوماً وإن كان تسعة وعشرين يوماً لزمه تسعة وعشرون يوماً فقط .

والأولى المبادرة بالقضاء من حين زوال العذر لأنه أسبق إلى الخير وأسرع في إبراء الذمة ويجوز تأخيره إلى أن يكون بينه وبين رمضان الثاني بعدد الأيام التي عليه لقوله تعالى : ﴿ **فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ ومن تمام اليسر جواز تأخير قضائها فإذا كان عليه عشرة أيام من رمضان جاز تأخيرها إلى أن يكون بينه وبين

رمضان الثاني عشرة أيام ولا يجوز تأخير القضاء إلى رمضان الثاني بدون عذر وإلا فعليه القضاء وإطعام مسكين عن كل يوم أفطره كما ذكره ابن قدامة في المغني .

فإن استمر به العذر حتى مات فلا شيء عليه .

فإن تمكن من القضاء ففرط فيه حتى مات صام وليه عنه جميع الأيام التي تمكن من قضائها لقوله ﷺ : « **من مات وعليه صيام صام عنه وليه** » متفق عليه وإلى هذا ذهب جمهور العلماء ويجوز أن يصوم عنه جماعة بعدد الأيام التي عليه في يوم واحد .

قال البخاري : قال الحسن : إن صام عنه ثلاثون رجلاً يوماً واحداً جاز . فإن لم يكن له ولي أو كان له ولي لا يريد الصوم عنه أطعم من تركته عن كل يوم مسكين .

التقدير في البلاد التي يطول نهارها ويقصر ليلها أو العكس

قيل : يكون التقدير على البلاد المعتدلة التي وقع فيها التشريع كمكة والمدينة .

قيل : على أقرب بلاد معتدلة إليهم .

مباحثات الصيام

١ - نزول الماء والانغماس فيه :

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ « **كان يصبح جنباً وهو صائم ثم يغتسل** » .

وكان النبي ﷺ « **يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أو من الحر** » رواه أحمد ومالك وأبو داود بإسناد صحيح .

فإذا دخل الماء في جوف الصائم من غير قصد فصومه صحيح ولا إعادة عليه .

٢ - الاكتحال والقطرة :

ونحوها مما يدخل العين ، سواء أوجد طعمه في حلقه أم لم يجد لأن العين ليست بمنفذ إلى الجوف .

وعن أنس : « أنه كان يكتحل وهو صائم » .

٣ - القبلة :

لمن قدر على ضبط نفسه وهكذا المباشرة باليد والمعانقة لهما حكم القبلة فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه » وقال لعمر رضي الله عنه عن القبلة : « **أرأيت لو تمضمضت بماء وأنت صائم ؟** » **قلت : لا بأس بذلك قال :** « **ففيم** » .

٤ - الحقنة :

مطلقاً سواء أكانت للفيتامينات أم لغيرها وسواء أكانت في العروق أم تحت الجلد ، فإنها وإن وصلت إلى الجوف ، فإنها تصل إليه من غير المنفذ المعتاد .

٥ - الحجامة :

(وهي أخذ الدم من الرأس أو من عرق من العروق) والقصد فقد احتجم النبي ﷺ وهو صائم رواه البخاري إلا إذا كانت تضعف الصائم

فإنها تكره له لما رواه البخاري عن ثابت أنه قال لأنس : « أكنتم تكرهون الحجامة للصائم على عهد رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، إلا من أجل الضعف » .

٦ - المضمضة والاستنشاق :

إلا أنه تكره المبالغة فيهما فعن لقيط بن صبرة أن النبي ﷺ قال : « **فإذا استنشقت فأبلغ إلا أن تكون صائماً** » رواه أصحاب السنن وقال الترمذي : صحيح ، وقد كره أهل العلم السعوط (أي : وضع الدواء في الأنف) للصائم ورأوا : أن ذلك يفطر . قال ابن قدامة : « وإن تمضمض أو استنشق في الطهارة فسبق الماء إلى حلقة من غير قصده ولا إسراف فلا شيء عليه » .

٧ - يباح للصائم ما لا يمكن الاحتراز منه :

كبلع الريق وغبار الطريق وغربلة الدقيق ، والنخامة ونحو ذلك ، وقال ابن عباس : لا بأس أن يذوق الطعام الخل والشيء يريد شراءه . وأما مضغ العلك (اللبان) فإنه مكروه إذا كان لا يتفتت منه أجزاء .

قال ابن تيمية : وشم الروائح الطيبة لا بأس به للصائم ، وقال : أما الكحل والحقنة وما يقطر في إحليله ومداواة المأمومة (الشجة في الرأس تصل إلى أم الدماغ) والجائفة (الجراحة التي تصل إلى الجوف) فهذا مما تنازع فيه أهل العلم والأظهر أنه لا يفطر بشيء من ذلك .

٨ - الحقنة الشرجية :

لا تفطر لأنها تستفرغ ما في البدن .

٩ - يباح للصائــــم :

أن يأكل ويشرب ويجامع حتى يطلع الفجر .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم** » رواه البخاري ومسلم

١٠- ويباح للصائم :

أن يصبح جنباً ثم يغتسل للصلاة وكذلك الحائض والنفساء إذا انقطع الدم من الليل جاز لهما تأخير الغسل إلى الصبح وأصبحتا صائمتين ، ثم عليهما أن يتطهرا للصلاة .

آداب الصيام ومستحباته

١ - السحور :

وهو مستحب ولا إثم على من تركه فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تسحروا فإن في السحور بركة » متفق عليه .

وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال : « **فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحَر** » .

والسحور هو الغذاء المبارك وبه يتقوى المؤمن على الصيام ، والسنة تأخيره ما لم يخش طلوع الفجر ، فإذا طلع الفجر أمسك وينوي الصيام بقلبه وعليه أن يواظب على السحور ولو أن يجرع جرعة من ماء ، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين ، وهو أرفق بالصائم ، وأسلم من

النوم عن صلاة الفجر ، وقد كان أصحاب محمد ﷺ أعجل الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً » رواه البيهقي بسند صحيح .

وقال الإمام أحمد : « إذا شك في الفجر يأكل حتى يستيقن طلوعه »و يصح الصيام بدونه ، فليس السحور شرطاً في صحته .

٢ - تعجيل الفطر :

ويستحب للصائم أن يعجل متى تحقق غروب الشمس .

فعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال : « **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر** » متفق عليه .

وتعجيل الفطر لا يتنافى مع صلاة الرجل في المسجد .

فعن أنس رضي الله عنه قال : « **كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي فإن لم تكن فعلى تمرات فإن لم يكن حسا حسوات من ماء** » رواه الترمذي وحسنه وأبو داود والحاكم وصححه .

فإن لم يجد ذلك أفطر على ما تيسر من طعام أو شراب حلال ، فإن لم يجد شيئاً نوى الإفطار بقلبه .

٣ - الدعاء عند الفطر وأثناء الصيام :

كان عبد الله بن عمرو بن العاص إذا أفطر يقول : « اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي » رواه أبو داود وإسناده حسن ، وثبت أن النبي ﷺ كان يقول : « **ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى** » .

وروى الترمذي بسند حسن أنه ﷺ قال : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل والمظلوم** » .

وفي الحديث « **إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد** » رواه ابن ماجة بسند صحيح .

فعليه أن يدعو بخيري الدنيا والآخرة .

٤ - كثرة القراءة والذكر والدعاء والصلاة والصدقة :

وأن يستحضر الصائم قدر نعمة الله عليه بالصيام ، حيث وفقه له ويسره عليه حتى أتم يومه وأكمل شهره .

روى البخاري عن ابن عباس قال : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ث أجود بالخير من الريح المرسلة »

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من أصبح منكم اليوم صائماً ؟** » فقال أبو بكر : أنا قال : « **فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟** » قال أبو بكر : أنا قال : « **فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟** » قال أبو بكر : أنا قال : « **فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟** » قال أبو بكر : أنا . قال : النبي ﷺ : « **ما اجتمعن في امريء إلا دخل الجنة** » .

ويستحب للصائم أن يتسوك أثناء الصيام ، وكان النبي ﷺ « يتسوك وهو صائم » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال : حديث حسن

وقد ثبت عن النبي ﷺ أن « **من فطر صائماً فله أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً** » رواه ابن ماجة والترمذي وقال : حديث صحيح .

ويتأكد الاجتهاد في الطاعات في العشر الأواخر من رمضان فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ « كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر » وفي رواية لمسلم : : « كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره » .

٥ - كف الجوارح عن استرسالها في القبائح :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** » رواه البخاري .

وعنه أيضاً : أن النبي ﷺ قال : « **ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم** » رواه ابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

فينبغي أن يتحفظ الصائم من الأعمال التي تخدش صومه ، فالصيام إمساك عن الأكل والشرب وسائر مانهى الله عنه .

وأذكّرك وأذكر نفسي بتقوى الله في السر والعلن واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وهذا يقتضي منك أن تقوم بما أوجب الله عليك من العبادات القولية والفعلية ، ومن أهمها الصلاة المفروضة والمحافظة عليها في المسجد في جماعة فعن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رجلاً أعمى قال يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فرخص له فلما ولى دعاه وقال : « **هل تسمع النداء بالصلاة** ؟ » قال : نعم قال : « **فأجب** » رواه مسلم .

واحذر الكذب والغيبة والنميمة والغش في جميع معاملاتك

واجتنب المعازف والغناء﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾ .

واحترز من الشبع وقت فطرك حتى تقوى على عبادة ربك .

عباد الله : اتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا المعاصي فإن أجسامكم على النار لا تقوى واعلموا أنكم غداً بين يدي الله موقوفون وعلى تفريطكم نادمون وبأعمالكم مجزيون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

الدرس : الثالث

البشارة بقدوم رمضان

كان رسول الله ﷺ يبشر أمته بمجيء هذا الشهر المبارك ، وكان يقول فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه : « **أتاكم رمضان شهر مبارك فرض عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم** » رواه أحمد والنسائي وهو جيد .

وكما ترى فهي خيرات عظيمة تحدث في هذا الشهر ولذلك كان لا بد من الحث على اعتناقها والتبشير بها ، وقد بعث رسول الله ﷺ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . هذا وينبغي التبشير والتهنئة بالخير

قال تعالى : ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ [الزمر ١٧] .

وقال تعالى : ﴿ **يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم** ﴾ [التوبة ٢١] .

وقال سبحانه : ﴿ **وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾ [فصلت ٣٠] .

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بشر خديجة رضي الله عنها « **ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب** » متفق عليه .

وعندما حضروا وفاة عمرو بن العاص رضي الله عنه جعل يبكي طويلاً وحول وجهه إلى الجدار ، فجعل ابنه يقول يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ !! أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ !! فأقبل

بوجهه فقال : إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . . الحديث رواه مسلم .

وقال رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه : « **اذهب بنعليّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره** » الحديث بطوله رواه مسلم .

وقد بشر النبي ﷺ جمعاً من صحابته بالجنة كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسائر العشرة المبشرين بالجنة ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

وقد وجدت البشارات به ﷺ في الكتب المتقدمة ، وهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر ، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك ولكن أكثرهم يكتمون ذلك ويخفونه قال تعالى : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنه إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

وفي السفر الخامس وهو آخر التوراة التي بأيديهم كما ذكر الإمام ابن كثير : جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وظهر من ربوات قدسه عن يمينه نور وعن شماله نار عليه تجتمع الشعوب " أي جاء أمر الله وشرعه من طور سيناء وساعير هي جبال الحجاز بلا خلاف ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد ﷺ .

وفي صحف شعيا ، في كلام طويل ، فيه معاتبة لبني إسرائيل وفيه

: " إني أبعث إليكم وإلى الأمم نبياً أمياً ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا سخاب في الأسواق أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى في ضميره ، والحكمة معقولة ، والوفاء طبيعته ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى ملته ، والإسلام دينه والقرآن كتابه ، اسمه أحمد ، أهدي به من الضلالة وأرفع به بعد الخمالة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين القلوب المختلفة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، قرابينهم دماؤهم ، أناجيلهم في صدورهم ، رهباناً بالليل ، ليوثاً بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي يعلمها كثير من علمائهم وأحبارهم ولكنهم يتكاتمونها .

وقد بشر النبي ﷺ أمته بفتح مدائن كسرى وقصور الشام فقال : « **إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله** » متفق عليه .

وأخبر أن المستقبل لدين الله بغلبته وظهوره على الأديان الباطلة ، وأن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ، والبشارات في هذا المعنى كثيرة .

ومن المعاني المشروعة البشارة بالولد :

قال تعالى : ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ [الصافات : ١٠١] .

وقال سبحانه : ﴿ **وبشروه بغلام عليم** ﴾ [الذاريات : ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ **وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح** ﴾ [آل عمران : ٤٥] .

وقال سبحانه : ﴿ **فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله**

يبشرك بيحيى ﴾ [آل عمران : ٣٩] وقال : ﴿ **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى** ﴾ [هود: ٦٩] .

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه تحفة المودود بأحكام المولود :

أنه لما كانت البشارة تسر العبد وتفرحه استحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه وإعلامه بما يفرحه ولما ولد النبي ﷺ بشَّرتْ به ثويبةُ عمَّه أبا لهب وكان مولاها وقالت : قد ولد الليلة لعبد الله ابنٌ فأعتقها أبو لهب سروراً فلم يضيع الله ذلك له وسقاه بعد موته في النقرة التي في أصل إبهامه ، فإن فاتته البشارة استحب له تهنئته ، والفرق بينها أن البشارة إعلام له بما يسره والتهنئة دعاء له بالخير فيه بعد أن علم به ، ولهذا لما أنزل الله توبة كعب بن مالك وصاحبيه ذهب إليه البشير فبشره فلما دخل المسجد جاء الناس فهنئوه .

وكانت الجاهلية يقولون في تهنئتهم بالنكاح : بالرفاء والبنين ، والرفاء : الالتحامُ والاتفاق ، فيهنئون بالبنين سلفاً وتعجيلاً .

ولا ينبغي للرجل أن يهنىء بالابن ولا يهنىء بالبنت بل يهنىء بهذاما أو يترك التهنئة ليتخلص من سنة الجاهلية ، فإن كثيراً منهم كانوا يهنئون بالابن وبوفاة البنت دون ولادتها .

وقال أبو بكر بن أبي المنذر في الأوسط : روينا عن الحسن البصري أن رجلاً جاء إليه وعنده رجل قد ولد له غلام فقال له : يهنك نقول ؟ قال : قل بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب وبلغ رشده ورُزقت بره .

وإذا ما بشّر الإنسان بحصول خير أو اندفاع شر فعليه أن يهب من بشره شيئاً ، فقد روى البخاري وغيره عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : « فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياه ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أتأم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً يهنئوني بالتوبة ويقولون : لتهنئك توبة الله عليك » .

ومن تدبر آيات الله ، علم كيف تكون الدعوة إلى الله تعالى ، فلا بد وأن تخلط الرغبة بالرهبة والبشارة بالنذارة وفي ثنايا ذلك تُساق الأحكام الشرعية التكليفية ، وإذ هناك فارق بين التقسيم المنهجي للمسائل الشرعية كالفقه والتوحيد وبين الدعوة إلى الله ومخاطبة الخلق على قدر عقولهم .

وعلينا أن نشكر الله عز وجل أن بلغنا رمضان ، ونسأله سبحانه أن يتقبله منا ونبشر الخلق بمجيئه ونستحثهم على اغتنام أيامه ولياليه فيما يقربهم من رضوان ربهم ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ .

وقد كان سلف الأمة رضوان الله عليهم يدعون ربهم ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أخرى أن يتقبله منهم ، ولم لا ؟ وهو شهر تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتقل فيه مردة الشياطين وفيه ليلة هي خير من ألف شهر .

الدرس الرابع

يريد الله بكم اليسر

فالتيسير والتخفيف سمة أصيلة في دين الله وهي واضحة في الصيام وفي سائر العبادات والتكليفات وفي ذلك يقول تعالى ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فَلْيَصُمْهُ ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ .

قال مجاهد والضحاك : « اليُسْرُ : الفطرُ في السفر والعسرُ : الصوم في السفر .

وواضح من عموم اللفظ أن هذا التيسير في جميع أمور الدين وقد بين سبحانه أنه إنما أرخص لكم في الإفطار للمرض والسفر ونحوهما من الأعذار لإرادته بكم اليسر ، وإنما أمركم بالقضاء لتكملوا عدة شهركم .

وفي السنن والمسانيد أن رسول الله ﷺ قال : « **بعثت بالحنيفية السمحة** » .

وعن محجن بن الأدرع أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلي ، فتراءاه ببصره ساعة فقال : « أتراه يصلي صادقاً ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، هذا أكثر أهل المدينة صلاة ، فقال رسول الله ﷺ « **لا تُسْمِعْهُ فَتُهلكَهُ** » **وقال** : « **إن الله ، إنما أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بها العسر** » . ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن مردويه . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن : « **بشّرا ولا تنفرا ويسّرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا** » .

وروى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **يسروا ولا تعسروا وسكّنوا ولا تنفروا** » أخرجاه في الصحيحين .

وكان ﷺ يقول : « **إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره** » .

وخرج يوماً يقطر رأسه من وضوء أو غسل فصلى فلما قضى الصلاة جعل الناس يسألونه ، علينا حرج في كذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **إن دين الله في يسر** » ثلاثاً يقولها ، رواهما الإمام أحمد .

واليسر من السهولة ومنه اليسار للغني وسميت اليد اليسرى تفاؤلاً أو لأنه يسهل له الأمر بمعاونتها لليمنى . ورب العزة جل وعلا لا يكلف عباده ما لا طاقة لهم به ، ومن القواعد التي اتفق عليها العلماء : رفع الحرج وهي مستفادة من مئات النصوص مثل : ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ .

ويقول تعالى ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ **يريد الله أن يخفف عنكم** ﴾ .

ويقول : ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة ، قال : « **من هذه ؟** » قالت : فلانةُ تَذكر من صلاتها ، قال : « **مَهْ عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله تملوا ، وكان أحب الدين إليه ، ما داوم صاحبه عليه** » متفق عليه .

وعن حنظلة الأسيدي قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلةُ ، قال : سبحان الله . ما تقول ؟ قلت : نكونُ عند رسول الله ﷺ يُذكّرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين

فإذاخرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً ، قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إنا نتلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة كأنّا رأي العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلةُ ساعةً وساعةً ثلاث مرات** » رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما النبي ﷺ يخطب إذا برجل قائم فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ : « **مرْه فليتكلم وليستظل وليقعد وليُتِم صومه** » رواه البخاري .

وقد ثبت عن النبي ﷺ جملة أحاديث تدل على شفقته التامة على أمته وخشيته أن يكون قد جلب عليها ما يُعنتها أو يشقُّ عليها وتجنّبه كل طريق يؤدي إلى ذلك ومنها ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ : أنه خرج من عندها وهو مسرور ثم رجع إليها وهو كئيب فقال : « **إني دخلت الكعبة ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتُها إني أخاف أن أكون قد شققت على أمتي** » رواه أبو داود .

وفي قصة صلاة التراويح : صلّى النبي ﷺ ذات ليلة فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى من القابلة فكثُر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم فلما أصبح قال : « **قد رأيت الذي صنعتم**

فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم »

وفي الرواية الأخرى : « **فتعجزوا عنها** » رواه مسلم .

وكان ﷺ يقول : « **إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز كراهية أن أشق على أمتي** » رواه أبو داود ، وعن أبي هريرة رضيالله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك** » رواه مسلم .

وقد كان ﷺ يأمر أصحابه بالتخفيف وينهاهم عن التعمق والتشديد وينكر ذلك عليهم توجيهاً لهم إلى طريق اليسر والاعتدال ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : « إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا » يقول أبو مسعود رضي الله عنه : فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : « **يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أمّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة** » .

وقال لعبد الله بن عمرو لما أخبر أنّه يصوم النهار ويقوم الليل : « **فلا تفعل ، صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاًوإن لزوجك عليك حقاً وإن لزورك عليك حقاً** » رواه البخاري .

وحينما نهى عن الوصال في الصيام قال له رجل من المسلمين : فإنك تواصل يا رسول الله قال : « **وأيكم مثلي ؟ إني أبيتُ يطعمني ربي ويسقين** » فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال - واصل بهم يوماً ثم رأوا الهلال فقال : « **لو تأخر لزدتكم** » كالمنكّل لهم حين أبوا أن ينتهوا » رواه البخاري .

فالسهولة والرفق والأخذ بالأيسر ومراعاة الأحوال ، دينُه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكل ذلك ما لم يكن إثماً فعن عائشة رضي الله عنها : « ما خُيِّر النبيُّ ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً .

رواه البخاري .

ولا بد من الانتباه إلى أن رفع الحرج والسماحة والسهولة راجع إلى الاعتدال والوسط ، فلا إفراط ولا تفريط فالتنطع والتشديد حرج في جانب عسر التكليف ، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدي إليه من تعطيل المصالح وعدم تحقيق مقاصد الشرع قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾ فالتوسط هو منبع الكمالات والتخفيف والسماحة ورفع الحرج على الحقيقة هو في سلوك طريق الوسط والعدل ، وبالتالي فلا التفات لقول من يقول : شدد أو خفف ، بل الواجب أن ندور مع نصوص الشريعة حيث دارت ، وخصوصاً وقد رأينا في أوقات الغربة هذه مَنْ يعتبر اللحية والجلباب وتقصير ثوب الرجل ونحو ذلك من السنن ثقلاً وقيداً وعنتاً ومشقة ، ولا يسعنا أن نعطي الناس رخصاً من جيوبنا ، ولا أن نغيّر ونبدل في دين الله : ﴿ **قل ما يكونُ لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ** ﴾ كما ينبغي أن نعلم أن رفع الحرج واليسر في الإسلام وإن كان شاملاً لجميع أحكام الشريعة وفي كافة مجالاتها إلا أنه ليس غاية في ذاته ، وإنما هو وسيلة واقعة في طريق الامتثال لأوامر الله تعين على تحقيق الغاية ، فالإسلام هو الاستسلام لأوامر الله والانصياع لشرعه ، والمطلوب هو الطاعة وتحقيق العبودية لله وحده وتحقيق مراد الشرع كذلك من جلب المصالح ودرء المفاسد ، والذي يتلمس التخفيفات ويتتبع مواطن الرخص ورفع الحرج بعيداً عن

الغاية الحقيقية من تمام العبودية وخالص الخضوع والطاعة لله وحده في جلب المصالح ودرء المفاسد وإنما غايته أن يأخذ بالسهل من الأمور مما قد يؤدي إلى الانسلاخ من الأحكام والابتعاد عن الشرع والتهاون في مسائل الحلال والحرام في المطاعم والمشارب والمعاملات المالية وغيرها مدعياً ألا حرج في الدين فقد أخطأ وضلّ السبيل ، وقد بين العلماء أن من تتبع رخص المذاهب يتجمع فيه الشرّ كله فكيف بمن يصنع دينه من زلات العلماء ، وقديماً قالوا : وما كل خلاف جاء معتبراً . وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يكون عند المسلم من الوازع ما يثنيه عن الإقدام على مواطن الرخص والأخذ بالأيسر ، وهو ممن لا يسوغ له ذلك ، أو أن يلبس على المفتي أو القاضي فيحكي غير الواقع وقد علم أنهما يجيبان على نحو ما يسمعان .

فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واشكروه سبحانه على نعمه يزدكم ، واللهم لك الحمد على تيسيرك وتخفيفك . أمَرَنا بالصيام لتهذيب النفس والوصول بها إلى مراقي التقوى وجعَلَ ذلك المقصود من تشريعه وليس العسر والمشقة بالإمساك عن الطعام والشراب والشهوة ، وصيامُ أشْهر في العام ليس خارجاً عن حد الوسع على الصحيح السليم المقيم البالغ العاقل والمرأة الطاهرة من الحيض والنفاس ، بل الإنسان يطيق صيام أكثر من شهر . ثم إذا نظرت في مباحات الصيام وكيفية قضائه وجدت تيسيراً وتخفيفاً فإذا اختلط عليك أمران فإن زيسرهما أقربهما إلى الحق كما يقول الشعبي ، واعلم أن العلم أن تسمعَ بالرخصة من ثقة فأما التشديد فيحسنه كل أحد كما قال الثوري فاللهم يسر وأعِنْ يا كريم .

الدرس : الخامس

تفتح أبواب الجنة في رمضان

فهيا بنا نشمر عن ساعد الجد والعمل في هذا الشهر المبارك الذي تفتح فيه أبواب الجنة ، رجاء دخولها والفوز بنعيمها .

فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء** » وفي رواية « **فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين** » متفق عليه .

وما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، فاستشعروا قربها وتيقنوا وجودها ، فهي الآن مخلوقة وموجودة وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى : ﴿ **ولقد رواه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى** ﴾ .

وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره : « **ثم انطلق به جبريل حتاى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي** » **قال** : « **ثم دخلت الجنة فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها مسك** » .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم القيامة** » .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ، قال : فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله قال : فيقولان له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة** » ، **قال نبي الله** ﷺ : « **فيراهما جميعاً** » .

وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت : « خسفت الشمس في حياة رسول الله ﷺ فذكرت الحديث إلى أن قالت : ثم قام فخطب الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة** » **وقال رسول الله** ﷺ : « **رأيت في مقامي هذا كل شيءٍ وُعدتم ، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني أقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت** » .

وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي ﷺ في صلاة الخسوف قال : « **قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ودنت مني النار حتى قلت : أيْ ربِّ وأنا معهم ؟ فإذا امرأة** » **حسبت أنه قال** : « **تخدشها هرة قلت : ما شأن هذه ؟ قالوا : حبستها حتى ماتت جوعاً : لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل** » .

وفي الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة** » وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما**

أعددت لأهلها فيها . فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر الجنة فحفت بالمكاره فقال : ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال : فنظر إليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت ألا يدخلها أحد ، قال : ثم أرسله إلى النار ، قال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال : فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً ثم رجع فقال : وعزتك وجلالك ، لا يدخلها أحد سمع بها فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها » .

وفي صحيح البخاري من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال : **« بينما أنا أسير في الجنة وإذا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف قال : قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأزفر »** .

وعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ : **« إن موسى عليه السلام سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا إخذاتهم فيقال لهم : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول : رضيت رب فيقال : ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة رضيت رب ، فيقول : لك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول : رضيت رب ، قال : فأعلاهم منزلة قال : ذلك الذي أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ومصداقه في كتاب الله ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾** رواه مسلم .

وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « **الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** » وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع .

ومفتاح الجنة لا إله إلا الله وذلك لما ذكره البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له : « أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح » .

ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل ، وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر . والجنة ليس لها إلا طريق واحد هو طريق الاستقامة والحرص على طاعة الله والتباعد عن كل ما يغضبه سبحانه . والناس بحسب إيمانهم وتقواهم بحسب درجاتهم في الجنة ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أهل الجنة يتراءون الغرف كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم** » قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : **بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** »

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ولمثل ذلك فليعمل العاملون ، والثمن الذي طلبه ربنا من عباده لدخولها في مقدورهم واستطاعتهم ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة فقال : « **تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان** » قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه فلما ولى قال : « **من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا** » .

وإذا كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان على العاقل اللبيب أن يؤثر الخزف الباقي على الذهب الفاني ، فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى ؟ ولذلك سأل المؤمنون ربهم الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل وسأله إياها ملائكته لهم ، فالجنة تسأل ربها أهلها ، ويسألونه إياها والملائكة تسألها لهم والرسل يسألون إياها لهم ولأتباعهم ، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين .

واعلموا عباد الله أن الدنيا تمتد زماناً ومكاناً في نظر المؤمن : زماناً لأبد الآبدين ومكاناً إلى جنة عرضها السموات والأرض ، ونحن إنما ننتقل من حياة دنيوية إلى حياة برزخية إلى حياة أخروية ، والمؤمن قد يستشعر رائحة الجنة وهو ما زال بعد على ظهر الأرض ، كحالة أنس بن النضر يوم أحد عندما انكشف الصحابة رضي الله عنهم جميعاً فقال واهاً لريح الجنة إني أجد (أشم) ريح الجنة من دون أحد ، وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك** » رواه البخاري .

وقد أطمع ربنا عباده في رحمته ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من رحمة ما قنط من جنته أحد** » رواه مسلم

وهذا الشهر فرصة عظيمة لدخول الجنة فعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « **في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون** » رواه البخاري ومسلم .

نسألك اللهم الجنة وأن تحشرنا في زمرة عبادك الصالحين .

الدرس : السادس

وتغلق أبواب الجحيم في هذا الشهر

فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة** » رواه الترمذي وابن ماجة ورواه أحمد وله شاهد في المسند يتقوى به .

وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه : « **وغلقت أبواب جهنم** » .

فاشكروا نعمة ربكم عليكم وتعوذوا به من النار وما قرب إليها من قول وعمل ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ .

ولا سبيل لذلك إلا بتقوى الله في السر والعلن واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فإذا دعتك نفسك لمواقعة المعاصي فتذكر وجود النار وأنها أقرب من شراك نعلك قال تعالى : ﴿ **فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾ وقال ﴿ **إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها** ﴾ .

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة** » .

وفيهما أيضاً أن النبي ﷺ رأى في صلاة الكسوف النار فلم يرَ

منظراً أفظع من ذلك .

وفي البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « **اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء** » ، وفيه دلالة على وجودها حال اطلاعه

وفي الصحيح (باب صفة النار وإنها مخلوقة الآن) .

وعن أبي ذر عن النبي ﷺ : « **أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم** » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين ، نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير** » رواه البخاري أي من ذلك النفس .

وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « **لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً** » قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال : « **رأيت الجنة والنار** » .

فالجنة والنار حق وهما مخلوقتان اليوم باقيتان إلى يوم القيامة لا تفنيان . وقد بين سبحانه خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم ، قال تعالى : ﴿ **أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ وقال : ﴿ **إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون** ﴾ وقال : ﴿ **أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون** ﴾ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه** » أخرجه الشيخان وفي رواية عنه

عندهما : « **فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم** » .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ قال مجاهد : هو الجنة ، وفي رواية عنه : هو الجنة والنار .

وقد بيّن الشوكاني : أن جزاء الأعمال مكتوب في السماء والقدر والقضاء ينزل منها والجنة والنار فيها . والاغترار بالله حمق ، وفي أهله شبه من الذين قال الله فيهم : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة** ﴾ وإلا فالمسلم قد يدخل النار ، ولكن لا يعذب فيها عذاب الكفار ، ولا يخلد فيها خلود الكفار ، ولا يدخلها دخول الكفار ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون** ﴾ قال تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله** ﴾ والظالم لنفسه ، هو الذي رجحت سيئاته على حسناته ، والمقتصد هو الذي تساوت حسناته مع سيئاته ، والسابق بالخيرات هو الذي رجحت حسناته ، وهذا يدخل الجنة لأول وهلة ، فويل لمن غلبت آحادُه عشراته وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمنَ يشاء والله واسع عليم ، والسيئة بمثلها وهي إلى العفو أقرب، ولن يهلك على الله هالك ولذلك فالذين يدخلون النار إنما يدخلونها بعدل الله ، فلا ظلم بين العباد في الدنيا ولا في الآخرة : ﴿ **وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ ومن المعلوم أن الله تعالى أودع في العباد عقولاً ، وركّب فيهم فطراً ، وأنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل ، ليحْيا من حيّ عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة ، فخافوا ربكم واحذروا سخطه وأليم عقابه قال تعالى : ﴿ **حم تنزيل الكتاب من**

الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴾ ولا طاقة لأحد بعذاب الله ، ونحن لا نطيق حر الشمس ولا نار الدنيا ، فكيف نطيق نار الآخرة : ﴿ **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون** ﴾ قال تعالى : ﴿ **أولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **من ورائه جهنم ويُسقى من ماد صديد** ﴾ أي : ما يسيل من الجلود واللحوم ، وهو دم مختلط يقيح ، ويسيلُ من جلد الكافر ولحمه ، وقال مجاهد : هو القيْح والدم، وقال القرطبي : هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر ﴿ **يتجرعه ولا يكاد يسيغه** ﴾ أي يبتلعه ﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان** ﴾ أي من كل جهة من الجهات الست ، أو من كل سوضع من مواضع بدنه والمراد بالموت البلاء الذي يصيب الكافر في النار سماه موتاً لشدته ﴿ **وما هو بميت** ﴾ حقيقة فيستريح ، وقيل تُعَلَّقُ نفسه في حنجرته فلا تخرج منْ فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيحيا ، ومثله قوله : ﴿ **لا يموت فيها ولا يحيا** ﴾ وقيل : ما هو بميت لتطاول شدائد الموت به وامتداد سكراته عليه ﴿ **ومن ورائه عذاب غليظ** ﴾ أي شديد يستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه ، وقيل : هو الخلود في النار ، وقيل : حبس الأنفاس ، ثم أنت من الورود على يقين ومن النجاة منها في شك قال تعالى : ﴿ **وإنْ منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم نُنَجي الذين اتقوا ونذرُ الظالمين فيها جثياً** ﴾ .

وقد بين النبي ﷺ هول عذابها فقال : « **يؤتى بأنعم الناس يوم القيامة من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب . ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له : يا ابن آدم : هل رأيت**

بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « **ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه فيقول : أنا مالك أنا كنزك** » رواه البخاري .

كما بين لنا عظيم عمقها فقال : « **إن الصخرة العظيمة لتُلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عاماً ما تفضي إلى قرارها** » رواه أحمد والترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فسَمِعْنا وجبة . فقال النبي ﷺ : « **أتدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قالَ : هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفاً فالآن حين انتهى إلى قعرها** » رواه مسلم .

وإذا كانت الجنة درجات ولها ثمانية أبواب ، فالنار دركات ولها سبعة أبواب قال تعالى : ﴿ **وإنّ جهنم لموعدهم أجمعين ، لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ والمنافقون في الدرك الأسفل من النار ، ومن دَركاتها سعير ولظى والحُطمة وسقر وجهنم قال تعالى : ﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** ﴾ .

وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدميه فيزوي بعضُها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك** » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أول**

من يدعى يوم القيامة آدم عليه السلام فيقول : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك فيقول : أخرجْ بعثَ جهنم من ذريتك ، فيقول : يا رب كم أخرج ؟ فيقول : أخرجْ من كل مائة تسعة وتسعين » ، قيل : فما يبقى منا يا رسول الله ؟ قال : « **إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود** » أخرجه البخاري .

وقد بين النبي ﷺ أول من تسعر بهم جهنم فقال : « **إنّ أول ناس يقضى عليهم يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار** » . ثم ذكر مثله عن الذي تعلم العلم ليقال : عالم وقرأ القرآن ليقال : قارئ والثالث الذي تصدق ليقال : هو جواد والحديث عند مسلم وغيره وفيه بيان خطورة الرياء وأهمية الإخلاص في القول والعمل .

فأقبلوا على الله بكل طاعة يحبها فعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً** » رواه البخاري ومسلم فاللهم قنا عذاب النار يا كريم .

الدرس السابع

شهر تصفد وتسلسل فيه الشياطين

وتصفيد الشياطين علامة لدخول الشهر وتعظيم لحرمته وذلك ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتهويش عليهم وهذا التصفيد على ظاهره وحقيقته وكذلك الأمر بالنسبة لتفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب جهنم وكل هذا لا يعلم كيفيته إلا الله عز وجل .

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا جاء رمضان** » وفي رواية « **إذا كان رمضان** » .

وفي رواية أخرى : « **إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة** » وفي رواية « **أبواب الرحمة** » « **وغلقت أبواب النار** » وفي رواية « **أبواب جهنم وصفدت الشياطين** » وفي رواية : « **وسلسلت الشياطين** » وفي حديث آخر « **صفدت مردة الشياطين** » .

والشيطان كلمة تطلق على كافر الجن وهي مأخوذة من شطن ، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر كما أنه بعيد عن كل خير هو فقيه في الشر ومن فقهه في الشر أنه يرضي الإنسان ببعض أفعال الخير ليظن أنه يحسن الصنع وقد ذكر بعض العلماء أنه يحتمل أن يكون هذا التصفيد عن بعض الأشياء دون بعض وعن بعض الناس دون بعض والإنسان محاط بالهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء ولذلك فهو محتاج للهداية والتوفيق مع كل نفس من أنفاسه وإلا لهلك : ﴿ **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي** ﴾ .

روي عن مسلم عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « **ما منكم من**

أحد وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : « **وإياي لكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير** » وفي القرآن : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ **وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ .

والشيطان له جنود وأعوان من الجنة يرسلوهم على العباد يحركونهم إلى الشر تحريكاً : ﴿ **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا** ﴾ وهو يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير . كما أنه في سعيه لإضلال العباد لا ينام ولو نام لاسترحنا وكذلك أولياؤه من اليهود والنصارى والمشركين الملاحدة هم كذلك لا ينامون ويتخذهم الشيطان مطية وجنوداً ينفذ بهم مخططاته وأهدافه .

فعلى كل مسلم أن يحذر وساوس شياطين الإنس والجن في هذا الشهر المبارك حتى لا يفسد عليه صيامه ويكون حظه منه مجرد الجوع والعطش .

وقد رأينا كيف يحشدون الأفلام الخليعة والفوازير الساقطة والرقصات الماجنة وكل ما من شأنه أن يضيع على العباد ثمرة التقوى ويجعلهم يخرجون من هذا الشهر كما دخلوا فيه وكل ذلك بحجة تسالي رمضان .

والشيطان في تغريره بعباد الله يسلك سبلاً كثيرة وتارة يحسن لهم الباطل ويكره إليهم الحق كما قال لرب العزة : ﴿ **رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ فيزين له

الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له حتى يخيل أنه يضره والإنسان إذا زين له الباطل فرآه حسناً فإنه يندفع بكل قواه لتحقيق ما يراه وإن كان فيه هلاكه : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾ .

ومن عجيب الأمر أنك قد تجد هؤلاء يصدون الناس عن دين الله ويحاربون الله وهم يظنون على الحق المبين .

ومن تزيين الباطل تسمية الأمور المحرمة بغير اسمها تحبيباً لها في نفوس الخلق كتسمية الفحش والتفحش تسالي وتسمية الربا بالفائدة والرقص والغناء والتمثيل فناً . ورائدهم في ذلك هو إبليس الذي قال لآدم عن الشجرة التي نهي عن الأكل منها : ﴿ **هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ .

وتارة يسلك بالعبد إما مسلك الإفراط وإما مسلك التفريط وكأنه لا سبيل للاستقامة ولا للعدل والاعتدال فيأتي العبد فيقول له إذا رقدوا فلا ترقد وإذا فطروا فلا تفطر ولا تأكل اللحم أو تتزوج النساء . وإذا وجد فيه فتوراً وتوانياً ثبطه وأقعده عن كثير من أبواب البر والصلاح فلا يخرج لأداء صلاة الجماعة في المسجد ولا يحرص على صلاة التراويح بل يجلس أمام التلفزيون يطالع الفوازير والمسلسلات التي تفسد ولا تصلح وتضر ولا تفع وقد ينام عن صلاة الفجر فلا يستيقظ إلا بعد طلوع الشمس ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ**

انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

وسئل الرسول ﷺ عن رجل نام حتى أصبح فقال : « **ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه** » رواه البخاري .

فعلى العاقل اللبيب أن يعمل على الحزم وإلا فالشيطان يحب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل : ﴿ **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً** ﴾ وهو عندما يشغل الإنسان بالأماني المعسولة الكاذبة يظهر الشر والفساد في قوالب النصح والإرشاد : ﴿ **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** ﴾ فأقسم لأبينا آدم إنه لهما لناصح ولذلك يقول العلماء : من خدعنا بالله انخدعنا له وذلك لأن نبي الله آدم لم يعهد من قبل أن يجد مخلوقاً يحلف بالله كذباً ولذلك استجاب لإبليس . ومن أمثلة ذلك أيضاً قصة برصيصاً العابد التي يرويها المفسرون عند قوله تعالى : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك** ﴾ وكيف أنه تدرج في إضلاله فجعله يحادث الفتاة ثم يدخل عليها حجرتها حتى وقع عليها ، ثم جعله يقتل صغيرها ثم قتلها هي مخافة الفضيحة ثم يكشف أمره لإخوانها الثلاثة بعد رجوعهم من سفرهم فلما أوثقوه على الخشبة ليقتلوه أتاه الشيطان فقال له : قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فإذا أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه

والشيطان في وسوسته يلجأ إلى الدخول في النفس من الباب الذي تحبه وتهواه ومن ذلك قوله لآدم وحواء : ﴿ **ما نهاكما ربكما عن هذه**

الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ وذلك لأنه أحس منهما ميلاً وركوناً إلى الخلود في دار النعيم فما زال يوسوس حتى « أنسى آدم ربه به : ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم فنسي ولم نجد له عزماً** ﴾ وإنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه من جملة المسالك التي يسلكها في إضلال العباد قال تعالى : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾ .

وقال يوشع بن نون صاحب موسى : ﴿ **فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره** ﴾ . الآية .

وهو دائماً يحاول أن يستدرج العباد إلى عقبة من العقبات السبعة وهي : الكفر والبدعة والكبيرة والصغيرة وتقديم الأمور المفضرلة على الأمور الفاضلة والإسراف في المباحات واستجلاب الأذى على أولياء الله ، بل هو يسعى أيضاً في تخويف المؤمنين أولياءه وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان قال تعالى : ﴿ **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

والشيطان جاثم على قلب العبد فإذا سها وغفل وسوس له الشيطان كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما وقد أخبرنا الله بذلك إذ سماه : ﴿ **الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس** ﴾ .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم** » .

وقد يتشكك العبد في إيمانه وتتزلزل قدمه بسبب كثرة الوساوس التي يشعر بها بطاعة ربه فإذا وجد ذلك فعليه أن يقول آمنت بالله ، ويتعوذ

بالله من الشيطان الرجيم ويشغل نفسه بطاعة ربه أو بأمر مباح ولا يعقد مناظرة مع الشيطان لأنه كلما فرغ من وسوسة وجد أخرى ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما لمن سأله عن مثل ذلك قل : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم** ﴾ ولا تحكي هذه الوساوس لأحد واعلم أنها لن تضرك بإذن الله فقد جاء البعض إلى الرسول ﷺ يوماً كما في صحيح مسلم فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكل به قال « أوقد وجدتموه ؟ قالوا نعم قال : « ذلك صريح الإيمان » وذلك لكراهيتهم لهذه الوساوس .

وروى أبو داود في سننه عن ابن عباس : أن النبي ﷺ جاءه رجل فقال : « **إني أحدث نفسي بالشئ لأن أكون حممة أحب إلى من أن أتكلم به قال** : « **الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة** » .

ولا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص لقول الله عز وجل : ﴿ **إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ ولذلك كان بعض الصالحين يقول لنفسه : أخلصي تتخلصي فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فهو القادر سبحانه على رد كيده ودفع وسوسته : ﴿ **إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ .

الدرس الثامن :

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

وقد نزل القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا . وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ثم نزل منجماً مفرقاً على قلب رسول الله ﷺ حسب الوقائع والأحداث وبشأن التنزل الأول يقول سبحانه : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة** ﴾ ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ وليلة القدر هي الليلة المباركة من شهر رمضان وعني بالتنزل الثاني قوله سبحانه : ﴿ **وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً** ﴾ وقد كانت الكتب السماوية تنزل على الأنبياء والمرسلين جملة واحدة فجمع الله التنزيلين للقرآن الكريم .

ثبت في صحيح مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ قال : « **الدين النصيحة** » قلنا لمن ؟ قال : « **لله ولكتابه ولرسوله ولئمة المسلمين وعامتهم** » .

قال النووي : قال العلماء رحمهم الله : النصيحة لكتاب الله تعالى ، هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شئ من كلام الخلق ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاغين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتناء بمواعظه والتفكير في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحة اهـ.

والقرآن هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم من

عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلا صراط مستقيم ، لا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ولا تزيغ به الأهواء ومن تركه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً

والقرآن هو كلام الله تعالى أنزله على رسوله ﷺ وتعبدنا بتلاوته ، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » رواه البخاري .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران** » متفق عليه .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **إن الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين** » رواه مسلم .

وعن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه** » رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار** » متفق عليه .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وقارئ القرآن يترجح على غيره في الدنيا والآخرة وحال الوضع

في القبر ، فعن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال : « **يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى** » رواه مسلم .

وكان النبي ﷺ عندما ضاقت القبور بالموتى يوم أحد يسأل : «**أيهم أكثر أخذاً للقرآن فإذا أشير إلى أحدهم قدمه في اللحد ويوم القيامة يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** . » رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « **ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون** » .

وعن الفضيل قال : حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن .

وينبغي الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها لقول رسول الله ﷺ : « **اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه** » .

ويجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن وقد جاء بالجواز الأحاديث الصحيحة مثل : « **إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله** » .

وينبغي للمسلم أن يحافظ على تلاوة القرآن ويكثر منها ويجعل لنفسه حظاً وورداً من كتاب الله يقرؤه كل يوم وقد كان كثير من السلف يختمه كل سبع ليال مرة ومنهم من ختمه مرة في اليوم وأكثر ولا بأس بذلك طالما لم يخرج إلي حد الملل والهذرمة وقد كره جماعة من المتقدمين

الختم في يوم وليلة لقول النبي ﷺ : « **لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث** » رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

وينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر .

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ في الصحيح أنه قال : « **نعم الرجل عبد الله كان يصلي من الليل** » .

وثبت عنه أيضاً أنه قال : « **يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه** » .

وفي الحديث الذي رواه الطبراني : « **شرف المؤمن قيام الليل** » .

وعليه أن يحذر من تعرضه للنسيان .

فقد ثبت عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « **تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل من عقلها** » رواه البخاري ومسلم .

عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « **من نام عن حزبه من الليل أو عن شئ منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنه قرأه من الليل** » رواه مسلم .

وينبغي أن يحرص القارئ على تنظيف فيه بالسواك ويستحب أن يقرأ القرآن على طهارة تامة ولا يمس القرآن إلا طاهراً ويجوز للحائض والنفساء أن تقرأ القرآن دون أن تمس المصحف ، أما الجنب فلا يجوز له القراءة لأن بمقدوره رفع الجنابة في الحال ، أما الحائض فليست كذلك ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف ولو استقبل القبلة لكان خيراً وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على

السرير وعنها قالت : « **كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن** » رواه البخاري ومسلم .

ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم إذا أراد الشروع في القراءة ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ ويقرأ بهيئة الخشوع والتدبر ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن** ﴾ وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددنها إلى الصباح .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى بالجماعة فقرأ سورة فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته فالبكاء مستحب مع القراءة وبعدها .

وينبغي أن يرتل قراءته وأن يخرج الحروف من مخارجها الصحيحة قال تعالى : ﴿ **ورتل القرآن ترتيلاً** ﴾

ويستحب إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب وإذا مر بآية تنزيه لله تعالى نزه .

فقد روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة ثم مضى فقلت : يصلي بها في ركعة فمضى فقلت : يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ ترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل .

وإذا ابتدأ بقراءة أحد القراء فينبغي أن يستمر على القراءة ما دام الكلام مرتبطاً فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أحد من السبعة والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس ويقرأ على ترتيب المص ، ولا

يجوز تنكيس الآيات وتنكيس السور على خلاف الأولي .

ويستحب طلب التلاوة من قارئ حسن الصوت وقد كان عمر بن الخطاب يقول لأب موسى الأشعري ذكرنا ربنا .

ويستحب تحسين الصوت بالتلاوة والاجتماع على قراءة القرآن فعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « **لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود** » رواه البخاري ومسلم . والمزمار هو الصوت الحسن .

ويحرم تفسير بغير علم ، كما يحرم المراء والجدال فيه بغير حق .

وقد أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق وتنزيهه وصيانته وأجمعوا على أن من جحد منه حرفاً مما أجمع عليه أو زاد حرفاً لم يقرأ به وهو عالم بذلك فهو كافر ، وعلى المسلمين أن يسعوا في تحكيم كتاب ربهم في حياتهم الخاصة والعامة في سياستهم واقتصادهم واجتماعهم وأخلاقهم وحربهم وسلمهم وأن ننتهز فرصة هذا الشهر المبارك في إقامة حدوده وحروفه فنحل حلاله ونحرم حرامه ونقف عند محكمه ونؤمن بمتشابهه ونتلوه حق تلاوته : ﴿ **وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً** ﴾ فالقرآن لم ينزل لعمل الأحجبة ولا يكون بضاعة للموتى ولكن لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين .

الدرس التاسع :

أياماً معدودات

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات** .... ﴾ الآية ١٨٣-١٨٤ من سورة البقرة .

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره : « يقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الأمة وآمراً لهم بالصيام وهو الإمساك عم الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة وذكر أنه كما أوجبه على من كان قبلهم فلهم فيه أسوة وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك كما قال تعالى : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات** ﴾ الآية ولهذا قال هاهنا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان ولهذا ثبت في الصحيحين : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ثم بين مقدار الصوم وأنه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل في أيام معدودات وقد كان هذا في ابتداء الإسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام ثم نسخ ذلك الصوم شهر رمضان . اهـ

وهذه الكلمة « **أياماً معدودات** » تشعر بسرعة الانقضاء وقرب الرحيل وهذا واقع فنحن نستقبل الشهر لكي نودعه فلا داعي لاستثقال لحظاته ولا بد من الإحسان والاستقامة فيها ولا يتم ذلك إلا بأن نعيش

طاعة الوقت من صلاة وصيام وقيام وتلاوة للقرآن ، والأمر يحتاج إلى بصيرة ، بحيث نتدرب على معرفة قيمة اللحظات وسرعة مرورها وما وظف علينا ربنا فيها من عبادات ونتابع العلم بعمل صالح ويقول كل منا لنفسه : ﴿ **وعجلت إليك رب لترضى** ﴾ فلا داعي لطول الأمل وما أنت إلا أيام معدودة وعمرك يمضي بك إلى أجلك ، وكما قالوا : كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره وعمره يقوده إلى أجله وحياته تقوده إلى موته يقول تعالى : ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** ﴾ [الحجر : ٣] وقال سبحانه : ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ،واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ،أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ،أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين** ﴾ [الزمر ٥٤-٥٨] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : خط رسول الله ﷺ خطاً وقال : « **هذا الإنسان** » وخط إلي جنبه خطاً وقال : « **هذا أجله** » وخط خطاً آخر بعيداً منه فقال : « **وهذا الأمل فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب** » رواه البخاري .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : « **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » رواه البخاري .

وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول : « إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك » .

﴿ **أياماً معدودات** ﴾ فأكثر فيها من ذكر هاذم اللذات بل هي والله أعظم تذكرة بالموت ﴿ **قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم** ﴾ والإنسان قبل ذلك أنفاسه تعد ، ورحاله تشد وعاريته ترد والتراب من بعد ذلك ينتظر الخد ، فإنه ليس عقبى الباقي غير اللحاق بالماضي وعلى أثر من سلف يمشي من خلف ، وما ثم إلا أمل مكتوب . وصعد أبو الدرداء يوماً درج مسجد دمشق فقال : « يا أهل دمشق ألا تسمعون شديداً أخ لكم ناصح ، إن من كان قبلكم كانوا يجتمعون كثيراً ويبنون شديداً ويأملون بعيداً ، فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً . وكان يقول : « ثلاث أضحكتني حتى أبكتني طالب دنيا والموت يطلبه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أأرضى ربه أم أسخطه وغافل ليس بمغفول عنه .

وكان الرجل يأتي إلى أم الدرداء يستنصحها فيقول : « إني لأجد في قلبي داء لا أجد له دواء أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً فتقول : « **اطلع في القبور واشهد الموتى** » .

وكان علي رضي الله عنه يقول : « إنما أخشى عليكم اثنتين طول الأمل واتباع الهوى ، فإن طول الأمل ينسي الآخرة وإن اتباع الهوى يصد عن الحق » .

ويأتي عمر بن عبد العزيز من بعدهم ، يخلفهم في الوعظ والتذكير ، فيصعد درج مسجد دمشق ويقول : « إن الأمان غداً لمن حذر الله وخافه وباع قليلاً بكثير ونافذاً بباق المالكين ، ألا ترون في أسلاب الحالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً إلى الله ورائحاً قد

قضى نحبه وانقضى أجله وطوى عمله ، ثم تضعونه في صدع من الأرض في بطن لحد ، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسلاب وفارق الأحباب ووجه للحساب ، غنياً عما ترك فقيراً إلى ما قدم » .

ثم تفكر طويلاً في حياتك في القبر فهي أكثر سعة وأعظم شأناً من حياتك الدنيوية بأيامها المعدودة . فلعلك تنطق كما نطق عمر بن عبد العزيز وقال : « قبور خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصت الدم وأكلت اللحم ترى ما صنعت بهم الديدان ؟ محت الألوان وعفرت الوجوه وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء ترى أليس الليل والنهار عليهم سواء ؟ أليسوا هم في مدلهمة ظلماء ؟ كم من ناعم وناعمة أصبحوا وجوههم بالية ، وأجسادهم عن أعناقهم نائية ، قد سالت الحدق على الوجنات ، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً ، قد فارقوا الحدائق فصاروا بعد السعة إلى المضايق ، ثم راح ينادي يا ساكن القبر غداً ما الذي غرك من الدنيا ؟ أين دارك الفيحاء وأين رقاق ثيابك ؟ ليت شعري كيف تصبر على خشونة الثرى وبأي خديك يبدأ البلى ؟

أياماً معدودات ، تذكرك بمدة لبثك في هذه الدار ، ثم أنت على القرب لا محالة مرتحل ، ثم قدر ذلك بالاخرة فهي أرحب وأوسع من حياتك الدنيوية والبرزخية ، حيث ينادي على أهلها يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ، فما الذي أنت صانعه بعد ذلك ؟ ولا إخالك إلا وقد استعددت للقاء ربك وعملت عمل رجل لا ينجيه إلا عمله وتوكلت توكل رجل من لا يصيبه إلا ما كتب له ، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل كان الحسن البصري يقول : « المبادرة

المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم إنكم أصبحتم في أجل منقوص والعمل محفوظ والموت والله في رقابكم والنار بين أيديكم فتوقعوا قضاء الله ،عز وجل في كل يوم وليلة ،لقد فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً وإن أمراً هذا الموت آخره لحقيق أن يزهد في أوله وإن أمراً هذا الموت أوله لحقيق أن يخافه الاخرة » وقال : « رحم الله امرءاً نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه » ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **إنما نعد لهم عداً** ﴾ [مريم : ٨٤] يعني الأنفاس ،آخر العدد خروج نفسك ،آخر العدد فراق أهلك ،آخر العدد دخولك في قبرك » ثم يصوغ هذا الميزان الإيماني فيقول : إنك والله لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمناً ، خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف » .

وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول : يا دار تخربين ويوت ساكنك» ولما قيل لأحد العلماء ك هذا متاع مرتحل ،لشئ يسير وجدوه عنده فقال : لا أرتحل ولكن أطرد طرداً . فمتى نفيق من غفوتنا وغفلتنا وإلا فالأيام تمر والصحائف تطوى والأعمال ترفع لرب العالمين والناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن فاعمل في أيامك المعدودة من قبل أن يأتي يوم تقول فيه يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين « أو تنادي » هل إلى مرد من سبيل أو تقول : ياليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » فاغتنم فرصة هذه اللحظات وإلا فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله ومنتظر غداً لا يبلغه لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره ﴿ **فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** ﴾ ﴿ **يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار** ﴾ [غافر : ٣٩] .

الدرس العاشر

الإيمان والاحتساب في رمضان

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » رواه البخاري .

وعنه رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » رواه مسلم .

وقد ورد في حديث ضعيف الإسناد صحيح المعنى « **إن الله عز وجل فرض عليكم صيام شهر رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً أخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه** » رواه النسائي وابن ماجة وابن خزيمة .

فصوم رمضان سبب عظيم في لغفران ذنوب العباد ، وذلك مقيد بشرطين يسيرين على من يسرهما الله عليه ، وهما الإيمان والاحتساب ، إيماناً بالله ورضاً بفريضة الصوم ، واحتساباً بأن يصوم محتسباً للثواب والأجر من عند الله ، غير كاره لهذا الصيام ولا شاك في الأجر والثواب ، والإيمان أساس قبول الطاعات ومنها الصيام والقيام ، وإلا فقد يصوم الكافر قال تعالى : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً** ﴾ .

وقال : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان** » رواه مسلم .

وأصل الإيمان في اللغة : التصديق كما في قوله تعالى : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ أي بمصدق لنا . وشرعاً فالإيمان ، قول اللسان وإقرار بالجنان وعمل بالأركان ، أو هو قول وعمل ، لذلك ورد في كثير من النصوص اقتران الإيمان بالعمل الصالح ، مثل قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً** ﴾ والإيمان شعب ، والطاعات كلها من شعب الإيمان والمعاصي كلها من شعب الكفر .

وقد بوب الإمام البخاري « باب قيام ليلة القدر من الإيمان » وذكر الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « **من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » **وباب الجهاد من الإيمان** » .

وذكر الحديث الذي رواه أبو هريرة أيضاً عن رسول الله ﷺ قال : « **انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسولي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة** » .

وقد عد رسول الله ﷺ صيام رمضان من الإيمان . وأفضل شعب الإيمان التوحيد ، المتعين على كل أحد ، والذي لا يصح شئ من الشعب إلا بعد صحته وقد اتفق العلماء على أن العبد يدخل في الإسلام بالشهادتين وهي قولنا : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وتجري عليه أحكام الإسلام في الظاهر ، فإذا انضاف إلى ذلك تصديق الباطن كان مؤمناً عند الله تعالى .

وأدنى هذه الشعب إماطة ما يتوقع ضرره بالمسلمين من الأذى، والحياء شعبة من الإيمان، لأنه وإن كان غريزة في بعض الأحيان، إلا أنه يكون تخلقاً واكتساباً كسائر أعمال البر وهو حتى وإن كان غريزة، لكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم، فهو من الإيمان بهذا، ولكونه باعثاً على البر ومانعاً من المعاصي، وقد يطلق على كل طاعة على حدة وصف الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ وقد أجمع العلماء: أن المراد صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ا تحويل لقبلة إلى الكعبة.

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه: « ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق من الإقتار » رواه البخاري.

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته بالطاعات، ونقصانه بالمعاصي والزلات، وقد استدل الإمام البخاري في صحيحه على ذلك بعدة نصوص منها: ﴿ **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** ﴾ ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى** ﴾ وقوله تعالي ﴿ **أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين أمنوا فزادتهم إيماناً** ﴾

قال ابن بطال المالكي: « فإن قيل: إن الإيمان في اللغة التصديق فكيف ينقص ؟ قيل له: إن التصديق يكمل بالطاعات كلها فكلما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل. وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانهاينقص فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان ومتى زاد الإيمان كمالاً، أما التصديق بالله وبرسوله فلا ينقص ومما يؤيد ذلك أيضاً ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى عدي: « إن للإيمان فرائض وشرائع

وحدوداً فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش فسأبينها لكم وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص» وأهل الإيمان يتفاضلون ويتفاوتون في درجات الإيمان ، فليس من حصل أكثر هذه الشعب كمن حصل دون ذلك .

وقد قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يخاف على نفسه النفاق ما فيهم من أحد يقول إن إيمانه مثل إيمان جبرائيل وميكائيل ، وأفضل هذه الأمة إيماناً بعد نبيها ث ، أبو بكر فعمر فعثمان فعلي ، ثم الصحابة ، خيار أولياء الله المتقين ، وكما وصفهم ابن مسعود رضي الله عنهم : « كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً » .

وعن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد وسولاً** » .

ومعنى الحديث : أنه لم يطلب غير الله تعالى ، ولم يسع في غير طريق الإسلام ، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ ، ولا شك أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه .

وقد بين القاضي عياض أن من كان كذلك صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأن رضاءه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ، ونفاذ بصيرته ، ومخالطة بشاشته قلبه لأن من رضي أمراً سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له ، والإيمان الذي نتحدث عنه مرده للوحي الصادق ، ولذلك ابتدأ الإمام البخاري كتابه ، بكتاب الوحي ثم الإيمان ثم العلم وذلك لعظيم فقهه في دين الله . وقد بين بذلك أن مرد العلم والإيمان لكتاب الله ولسنة رسوله

ﷺ، ولا يجوز الرجوع في ذلك إلى علم الكلام أو الفلسفة ، و النزاع بين أهل السنة والجماعة الذين يرجعون لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وغيرهم من الفرق الضالة إنما هو نزاع في مصدر العلم ومنهج الفهم ، فالصوفية يعتمدون في استنباط الأحكام على الذوقيات والمكاشفات والمشاهدات والمنامات .

ثم أصحاب المنهج العقلاني كالمعتزلة وأشباههم وهم الذين يقدمون العقل على النقل . ثم يأتي بعد ذلك أصحاب المنهج الوثني كالإسماعلية والباطنية والروافض .

قرأ ابن عباس قوله تعالى : ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾ فقال : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والافتراق ، وما الحق إلا واحد فاعرف الحق تعرف أهله ، وعلى الحق نور ، وهو ما وافق الكتاب والسنة .

والقرآن يطلق على معاني العقيدة والتوحيد وصف الإيمان قال تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** ﴾ .

والعقيدة يراد بها الحكم الجازم ، الذي يعقد الإنسان قلبه عليه بغير تردد أو شك ، واصطلح كثير من العلماء على إطلاق اسم التوحيد على مجمل الأمور التي يجب أن يعقدها الإنسان وهو الذي تضمنته كلمة لا إله إلا الله ، والإيمان ثم القرآن هو منهج التربية المعتمد ، وذلك لقول جندب رضي الله عنه : « تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً » ولقول ابن عمر رضي الله عنهما : « لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا

يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فنتعلم حلالها وحرامها وزواجرها وأوامرها وما يجب أن يقف عنده منها ، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ، وما ينبغي أن يوقف عنده منه ، ينثره نثر الدقل » .

فراجعوا إيمانكم عباد الله وصوموا وقوموا إيماناً واحتساباً ، فبهذا تفترقون عمن يصوم على سبيل تخسيس وإنقاص وزنه ، ومن يصوم كرياضة ، ومن يمتنع عن الأكل والشرب بغية الانتحار ، واعلموا أن الصيام يضيق مجاري الشيطان في العروق ، وبالتالي فلا مانع من الصيام إيماناً واحتساباً ، وفي ذلك الوقت بغية تقليل حدة الشهوة وذلك لقول النبي ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » .

وعلى الصائم أن ينظر هل زاد إيمانه في رمضان أم نقص ؟ وهل عظم يقينه أم قل ؟ وإلا فرغم أنف امرئ أدرك رمضان فلم يغفر له . اللهم زدنا إيماناً ويقيناً ، ونسألك اللهم علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وديناً قيماً وشفاءاً من كل داء .

الدرس الحادي عشر :

الشعور بحلاوة الإيمان في شهر رمضان

ترى ما هو السبب في شعورنا بحلاوة الإيمان ، وبرد اليقين في هذا الشهر بالذات ؟ ولماذا يتمنى كل مؤمن أن لو أتى عليه رمضان أعواماً عديدة وأزمنة مديدة ، ويتمنى أن لو كان العام كله رمضان ، على الرغم من أن المسلم يمتنع فيه عن الطعام والشراب والجماع ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ؟ .

والإجابة على هذا السؤال لها قيمة كبيرة إذ لا يوجد عاقل ، فضلاً عن مسلم يرغب في أن يعيش حياة المرارة ، ولا يحس بطعمها ، ومعلوم أنه ما أنزل الله داء إلا له دواء علمه من علمه وجهله من جهله ، وقد جعل الله كتابه الكريم شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة ، والنبي ﷺ لم يترك خيراً يقرب الأمة من ربها إلا ودلها عليه ، ولم يترك شراً يباعد هذه الأمة عن رضوان الله تبارك وتعالى إلا حذرها منه ونهاها عنه وأمرها باجتنابه ، وبلغ البلاغ المبين وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، وهذا البلاغ فيه حياة القلوب وسعادة الأرواح .

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرأ لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار** » .

هذه هي الخصال الثلاث ، التي من اتصف بها أحس للإيمان طعماً وحلاوة ، ويقوي شعوره بقوتها ويضعف بضعفها .

الصفة الأولى : التي تحرص على تحقيقها : أن يكون الله ورسوله

أحب إليك مما سواهما ، ولم لا ؟ وهو سبحانه ، أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين يقيل العثرات ويغفر الخطيئات ويستر العورات ويكشف الكربات وينيل الطلبات فهو أحق من ذكر وأحق من شكر وأحق من عبد وأحق من حمد وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ، يستر عبده حيث لا يستحي العبد منه ، حال دون النفوس وأخذ بالنواصي ، وكتب الآثار ونسخ الآجال ، فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيب لديه مكشوف وكل أحد إليه ملهوف ، عنت الوجوه لنور وجهه ، وعجزت العقول عن إدراك كنهه ، ودلت الفطر على امتناع مثله وشبهه ، فأنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها وأجلها ، محبة من جبلت القلوب على محبته وفطرت الخليقة على تأليهه ، والعبادة لا تصلح إلا له وحده ، والعبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل .

قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** ﴾ [المائدة : ٥٤] .

وقال ﷺ : « **والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين** » متفق عليه .

وقال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : « **لا حتى أكون أحب إليك من نفسك** » .

وكل شئ في هذا الوجود يدعو لمحبة الله تعالى وتقديم هذه المحبة على كل شئ سواها ، وهذه المحبة تستلزم الانقياد لأمره سبحانه والسمع

والطاعة لحكمه ، كان الجنيد يقول : « لو تعلم الملوك ما نحن عليه من لذة لجالدونا عليها بالسيوف » كما تستوجب أيضاً هذه المحبة العمل بسنة رسول الله ﷺ وتوقيرها : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ .

روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **ما حق امرئ مسلم له شئ يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة** » .

قال ابن عمر : « ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي » .

وروى الشيخان عن ابن عباس بن ربيعة قال : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر يعني الأسود ويقول : « أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أن رسول الله قبلك ما قبلتك » .

والأخبار التي تبين صدق الطاعة وفضيلة الاتباع وحقيقة المحبة كثيرة عند صحابة رسول الله ﷺ ومن تابعهم بإحسان .

فقد روى البيهقي عن عروة قال : لما أخرج المشركون زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه بالتنعيم وقد اجتمع في الطريق خبيب بن عدي الأنصاري وزيد بن الدثنة فتواصيا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره ، قال أبو سفيان - وهو يومئذ مشرك - لزيد بن الدثنة : أنشدك الله يا زيد : أتحب أن محمداً الآن مكانك تضرب عنقه وإنك في أهلك ! فقال زيد : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي ، فقال أبو سفيان : « ما رأيت من الناس من يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً » .

وروى البيهقي وابن إسحاق أن نسيبة بنت كعب الأنصارية قد قتل أبوها وأخوها وزوجها شهداء في يوم أحد فقالت : لما أخبرت بذلك : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت : « كل مصيبة بعدك جلل » أي كل مصيبة بعد سلامتك هينة .

وروى البغوي أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ، فقال عليه الصلاة والسلام « ما غير لونك ؟ » فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين ، وإني إن أنا دخلت الجنة فأنا في منزلة أدنى من منزلتك وأن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً فنزلت هذه الآية : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾ [النساء : ٦٩].

الخصلة الثانية : للشعور بحلاوة الإيمان : أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، فهي محبة لله وفي مرضاة الله ، أي أنها ليست على شوائب الدنيا ، وما كان لله دام واتصل ، ولذلك فمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه » وذكر رسول الله ﷺ « **أن رجلا زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تربها عليه قال : لا ، غير أني أحببته في الله تعالى ، قال الملك : فإني رسول الله أرسلني إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته** »

وإذا كان أمر الأخوة هكذا ، فالواجب علينا أن نأخذ بالأسباب والوسائل التي تتعمق بها روح هذه الأخوة الإيمانية حتى نرقى ونرتقي مثل ما كان عليه هؤلاء الأفاضل .

قال علي بن الحسين لرجل : هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه ؟ قال : لا قال : فلستم بإخوان .

وكان على (مسروق) دين ثقيل وكان على أخيه خيثمة دين أيضاً فذهب مسروق وقضى دين خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم .

ولما قضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه فجاءه بهدية فقال ابن شبرمة : ما هذا ؟ قال أخوه : لما أسديته إلي من المعروف . . قال ابن شبرمة : خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ وكبر عليه أربع تكبيرات ، وعده من الموتى .

الخصلة الثالثة : أن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار ، ولا شك أن الإيمان بالله عز وجل حين يترسخ في النفوس ويخالط بشاشته القلوب ، فإن صاحبه ينفر من كل كفر ، ويكره كل باطل ، ويبتعد عن كل ضلال ويتعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن : ﴿ **وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾ فالمؤمن يبغض كل ما يبغضه الله عز وجل ويعلم أن الكفر سبب لورود نار الجحيم ولذلك فهو يتباعد بنفسه عنه ، بل وعن مقدماته لنفسه : ﴿ **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** ﴾ والكفر مرارة في الدنيا ، وضنك وشقاء فكيف تحن له نفس مؤمنة ! ولذلك رأينا هذه النماذج الفذة في الثبات على المبدأ والصبر على المصائب والأحداث ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، وكلها لها حظها

ونصيبها من التأسي برسول الله ﷺ .

والآن وقد علمنا الشعور بحلاوة الإيمان ولماذا نتذوق هذا الطعم الحلو بصفة خاصة في رمضان فإذا فتر أو ضعف عندك هذا الإحساس ، فراجع نفسك وأكثر من ذكر ربك . وانتقل من طاعة إلى طاعة ، وتباعد نفسك عن كل ما يغضب الله تعالى ، واسأل الله من فضله ، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقف مع نفسك وقفة المحاسبة ، وقل لها منك أوتيت ، واجعل لها خطاماً وذماماً فقدها بخطامها إلى طاعة اللله وذمها بذمامها عن معصية الله ، فإن الصبر على طاعة الله أهون من الصبر علي عذابه ، ووأعرض نفسك على كتاب الله وستجد منزلتك عند قوله تعالى : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين** ﴾ .

الدرس : الثاني عشر

شهر التقوى لعلكم تتقون

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذينمن قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

والتقوى هي ثمرة جميع الطاعات والعبادات .

قال تعالى : ﴿ **آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** ﴾ [البقرة : ٤]

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون** ﴾ .

وأصل التقوى كما بين الحافظ ابن رجب رحمه الله : أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية نقية منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه ، وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه ، وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه

وتارة تضاف التقوى إلى اسم الله عز وجل كقوله تعالى : ﴿ **واتقوا الله الذي إليه تحشرون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ فإذا أضيفت التقوى إليه سبحانه وتعالى ، فالمعنى : اتقوا سخطه وغضبه وهو

أعظم ما يتقى وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي قال تعالى : ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **هو أهل التقوى وأهل المغفرة** ﴾ فهو سبحانه أهل أن يخشى ويهاب ويجل ويعظم في صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس .

وفي الترمذي عن أنس عن النبي ﷺ في هذه الآية ﴿ **هو أهل التقوى وأهل المغفرة** ﴾ قال الله تعالى : أنا أهل التقوى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهاً آخر فأنا أهل أن أغفر له .

وتارة تضاف التقوى إلى عقاب الله وإلى مكانه كالنار أو إلى زمانه كيوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ **واتقوا النار التي أعدت للكافرين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله** ﴾ ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً** ﴾ ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرومات والشبهات ، وربما دخل بعد ذلك فعل المندويات وترك المكروهات وهي أعلى درجات التقوى ، والتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله** ﴾ [النساء : ١٣١] ، وهي وصية رسول الله ﷺ لأمته ، فقد كان إذا بعث بعثاً أوصى من عليه بتقوى الله في خاصة نفسه ومن معه من المسلمين خيراً .

وعن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وعن العرباض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح

فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال : « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش بعدي منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة** » رواه أحمد والترمذي وقال : حسن صحيح .

والتقوى وصية كل نبي لقومه لقوله تعالى : ﴿ **كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم ألا تتقون** ﴾ [الشعراء : ١٠٥، ١٠٦] .

وقال تعالى : ﴿ **كذبت ثمود المرسلين إذا قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون** ﴾ . [الشعراء ١٤١، ١٤٢] .

وقال تعالى : ﴿ **وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون** ﴾ .

وقد قال سبحانه : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ .

والتقوى أيضاً هي وصية سلفنا الصالح رضي الله عنهم ، فقد كان أبو بكر رضي الله عنه يقول في خطبته : أما بعد : فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ، فؤنه عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين** ﴾ [الأنبياء : ٩٠] ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصية، وأول ما قاله له ، اتق الله يا عمر .

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فإنه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده واجعل

التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل ، جعلنا الله وإياك من المتقين ، ولما ولى خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، فإن تقوى الله عز وجل خلف من كل شئ وليس من تقوى الله خلف .

وقال رجل ليونس بن عبيد : أوصني فقال : أوصيك بتقوى الله والإحسان ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وكتب رجل من السلف إلى أخ له : أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت وأزين ما أظهرت وأفضل ما ادخرت ، أعاننا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها .

وقال شعبة : كنت إذا أردت الخروج قلت للحكم : ألك حاجة فقال : أوصيك بما أوصى به نبي الله ﷺ معاذ بن جبل « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » .

ونحن إذا صمنا شهر رمضان كما أمر الله كنا على رجاء حصول ثمرة التقوى ، ونكون بذلك قد أخذنا لأنفسنا بسبب هو من أعظم أسباب النجاة من النار ودخول الجنة فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح باب ونادى مناد : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة** » رواه الترمذي وابن ماجة ورواه أحمد ، وله شاهد في المسند يتقوى به .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر** » رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً** » رواه البخاري ومسلم.

والتقوى لا تتم في هذا الشهر ولا في غيره إلا بعلم نافع ويعمل صالح، وأساس التقوى أن يعلم العبد ما يتقي ثم يتقي، ولذلك يجب علينا أن نتعرف على الواجبات والمستحبات في هذا الشهر ونتمثلها، ونتعلم المحرمات والمكروهات ونتباعد بأنفسنا عنها، بل ولا بد من إبلاغ الحق، تعظيماً لحرمات الله جل وعلا ﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ وإلا فإذا كان العبد لا يحسن التقوى لربما صام عن المباحات ثم انتهك المحرمات فأطلق بصره وسمعه وسائر جوارحه في كل ما يغضب الله تعالى، وقد أصبح الشهر في حس البعض عبارة عن شهر الفوازير وشهرزاد والعروض المستمرة للأفلام، وهكذا حرص شياطين الإنس والجن على إفساد ثمرة التقوى في هذا الشهر، وكعادتهم في تسمية الأشياء بغير اسمها فقد أطلقوا على هذا الغحش والتفحش، اسم تسالي رمضان.

فاتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا المعاصي فإن أجسامكم على النار لا تقوى، واعلموا أنكم غداً بين يدي الله موقوفون وعلى تفريطكم نادمون وبأعمالكم مجزيون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ونحن في سفرنا إلى الله لا بد

لنا من زاد ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب** ﴾ فهو سبحانه أحق أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر ، نحرص على ذلك في سر أمرنا وفي علانيتنا ونستحي من الله استحياءنا من رجل ذي هيئة أو هيبة من صالحي عشيرتنا ، وكل الإمام أحمد يقول :

إذا ما خلوت الدهر يوماً ، فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

فإذا ما بدرت منك هفوة فتذكر قدرة الله عليك ، فلست تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره ، وسارع بالإحسان والتوبة : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ .

واعلم أن تقواك لله عز وجل لن تتم ولن تكتمل حتى توفي العباد حقوقهم ، وتعطي كل ذي حق حقه ، وإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولذلك ختم النبي ﷺ وصيته لمعاذ بقوله : « وخالق الناس بخلق حسن » وجماع حسن الخلق أن تعطي من حرمك وأن تصل من قطعك وأن تعفو عمن ظلمك ، « فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم » متفق عليه

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾

الدرس الثالث عشر:

صوم القلب والجوارح

وهذا الصيام واجب في رمضان وغيره وهو متأكد في هذا الشهر المبارك لعظيم حرمته ، فعلى كل من أراد الله والدار والاخرة وطلب نجاة نفسه وسعادة الدارين أن يحفظ نفسه امتثالاً لقول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : « **احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك** » الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ولا بد من صون القلب عن الشركيات المهلكة والاعتقادات الباطلة والوساوس السيئة والنوايا والخبيثة والخطرات الموحشة ، ففي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما يقول النبي ﷺ : « **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب** » متفق عليه .

وقد قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾ .

وقال : ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ وقال ﴿ **الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين** ﴾ .

فرحم الله عبداً امتلأ قلبه يقيناً وإيماناً فانعكس ذلك على جوارحه طلباً لكل خير وبعداً عن كل شر .

قال تعالى : ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾ .

وقلوب العباد متفاوتة تفاوتاً عظيماً .

قـال تعـالى عن قلوب المعـرضين اللاهين : ﴿ **في قلوبهم مـرض فزادهم الله مرضاً** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **وقـالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكـفرهم فـقليلاً ما يؤمنون** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ .

وقال : ﴿ **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذننا وقر** ﴾ .

فـالقلوب تمرض ويطبع عليـهـا وتقـفل وتموت ولذا كـان النبي ﷺ يقول كـمـا صح عنه : « **يا مـقلب القلوب ثبت قـلبي على دينك** » وقـد بين سبحانه أن صاحب القلب السليم هو الذي ينجو يوم القيامة فقال : ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ وقال : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ وهداية القلب أساس كل هداية ومبدأ كل توفيق وأصل كل عمل ورأس كل فعل .

روى مسلم عن حذيفة بن اليـمان رضي الله عنه قـال : « القلوب أربعـة : قلب أجـرد فيـه سراج يزهر فـذلك قلب المؤمن ، وقلب أغلف فـذلك قلب الكافر ، وقلب منكوس فـذلك قلب المنافق عـرف ثـم أنكر وأبصر ثم عمي ، وقلب تمده مادتـان مادة إيمان ومادة نفاق وهو للغـالب عليه منهما » .

والمؤمن الحريص على سلامة قلبه عليه أن يحذر وساوس ومداخل الشيطان إلى نفسه ومن أعظمها الغضب ، والشهوة والحسد والحرص والإسـراف في الطعـام والعـجلة والبـخل وخـوف الفـقـر والتـعـصب للمذاهب والأهواء وسوء الظن بالمسلمين .

قال تعالى : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « **في القلب لمتان لمة من الملك ،إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ،ولمة من العدو ،إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم** » رواه الترمذي وحسنه .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ،وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض** » رواه مسلم .

وأمراض القلوب تجمعها أمراض الشهوات وأمراض الشبهات، والقرآن شفاء للنوعين ، وهذا الشهر المبارك هو شهر القرآن فأقبلوا عليه بتدبر وخشوع حتى تصح قلوبكم بذكر الله وتعمر بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل دأباً وشوقاً . وعلى العبد أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته التي وصف بها سبحانه نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ : ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه** ﴾ كما عليه أن يحذر الذنوب والمعاصي وكل ما يمرض القلب ويميته .

قال ابن مسعود : إن المؤمن يرى ذنبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا « وقال أنس رضي الله عنه : إنكم لتعلمون أعمالاً هي أدق في أعينكم

من الشعر كنا لنعدها على رسول الله ﷺ من الموبقات » رواه البخاري .

ومن أخطر سموم القلب : فضول الكلام وفضول النظر وفضول المخالطة وفضول الطعام وفضول النوم .

قال ابن المبارك رحمه الله :

رأيت الذنوب تميت القلوب	وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب	وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك	وأحبار سوء ورهبانها

صوم اللسان

صيام اللسان كصيام القلب ، يجب أن يدوم في رمضان وفي غير رمضان ، ويتأكد ذلك في رمضان ، بحيث يتعاهد كل إنسان لسانه بالتهذيب والتأديب وتعويده حسن القول وزجره عن اللغو وفاحش الكلام :

﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ قال معاذ بن جبل : قلت : يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول : فقال : « **يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم** » رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : « **يا لسان قل خيرا؟ تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم** » وقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيراً أو ليسكت** » متفق عليه .

وقال عقبة بن عامر : قلت : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال :« **أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك** » رواه البخاري ومسلم

وقال رسول الله ﷺ : « **من يتكفل لي ما بين لحييه ورجليه ،أتكفل له الجنة** » رواه البخاري .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول عن لسانه : « هذا الذي أوردني الموارد » .

وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله غيره ما شئ أحوج إلى طول سجن من لسان .

وقال طاوس : لساني سبع إن أرسلته أكلنـــي .

وقال الحسن : ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه .

وقال الأوزاعي : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : أما بعد فإن من أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعينه .

وقال يونس بن عبد الله : ما من الناس يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله . فكيف يصوم بعد ذلك من أطلق للسانه العنان ؟ وكيف يصوم من من كذب واغتاب وأكثر الشتم والسباب ونسي يوم المساب ؟وكيف يصوم من شهد الزور ولم يكف عن المسلمين الشرور ،

قد صح عنه ﷺ أنه قال : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** »

وقال سبحانه : ﴿ **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم** ﴾ .

وليس الصيام من الجوع والعطش وإنما الصيام من اللغو والرفث فاحذروا عباد الله فيما لا يعني والخوض في الباطل والمراء والجدال بغير

حق ، وتجنبوا الخصومة والتقعر في الكلام والفحش والسب وبذاءة اللسان ، وتباعدوا عن اللعن والغناء والمزاح والسخرية والاستهزاء ، وإياكم والغيبة والنميمة والكذب وإفشاء الأسرار والوعود الكاذبة ، ورطبوا ألسنتكم بذكر الله وتلاوة القرآن وهذبوها بالتقوى وطهروها من المعاصي .

صوم العين :

يكون ذلك بغضها عن الحرام ، وإذا رأيت خيراً أعلنته وإذا رأيت بعينيك شراً سترته .

قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ،وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن** ﴾ الآية .

والعين كما هو معلوم منفذ للقلب وباب للروح ، فإذا خربت العين خرب القلب ، والعين رائد إذا أرسل صاد وإذا قيد انقاد أطلق وقع بالقلب في الفساد ، وهي أيضاً إذا أفلت حبلها أوبقتك وإذا أطلقت قيدها عذبتك . والعين تزني وزناها النظر والنظرة بريد الزنا وهي سهم من سهام إبليس ، قال شاه الكرماني : من غض البصر عن الحرام وعمر باطنه بالتقوى وظاهره باتباع السنة لم تخطئ له فراسة وتلا قوله تعالى ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ وقبل أن تنظر اعلم أن نظر الله أسرع إليك وأسبق إليك من نظرك إلى من تنظره . فإذا دخل رمضان طلب من العين أن تصوم طاعة للحي القيوم ، ومعلوم أن الجوع يضعف شهوة النظر ويطفئ حرارة البصر . كما صمنا عن الشراب والطعام ، فتصم عيوننا عن الحرام .

صوم الأذن :

قال تعالى : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾ فإذا سمعت خيراً وعيته وإذا سمعت بأذنيك شراً دفعته ، والأذن تصوم عن سماع الخنا والغناء وعن الفحش والبذاء ، وللأبرار صيام عظيم عن سماع ما يغضب الله عز وجل في رمضان وغيره ، والصالحون هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، فاستمع لدروس العلم النافع والمواعظ الحسنة واغتنم فرصة شهرك في سماع الآيات لا الأبيات الملحنة والغناء الفاجر الآثم وتدبر قوله سبحانه : ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾ وكن من عناهم الله بقوله : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراماً** ﴾ ﴿ **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين** ﴾ ولا تكن من هؤلاء الذين قال الله فيهم ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ،ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ جعلنا الله وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه .

صوم البطن

قيل عن أهل السنة : إنهم الذين يعرفون ما يدخلونه بطونهم من الحلال ، فالطعام له أثره على حياة الإنسان وسلوكه وأخلاقه ،

وما نبت جسم من حرام فالنار أولى به قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ وقال ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً** ﴾وقال سبحانه في وصف نبيه ﷺ : ﴿ **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ والطيبات هي ما أحله الله عز وجل لعباده ، وشكر البطن كما قال أبو حازم : أن يكون

أسفله طعاماً وأعلاه علماً .

وصيام البطن عبارة عن اجتنابه للحرام ، زيادة عن اجتنابه الطعام والشراب وكل ما يفطر في نهار رمضان ، فيجتنب العبد الربا والسحت وأكل مال اليتيم والرشوة وبيع المحرمات كالخمر ، وينتهي عن القمار وكل صور الباطل ، وإلا فكيف يصوم البطن وقد أفطر على الحرام طعامه الغش والغضب ، وأنى يستجاب لمن مطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام .

فهل من صائم عن الحرام ليدخل دار السلام ؟

الدرس الرابع عشر :

ولاية الله والطريق إليها في شهر رمضان

قال تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ [يونس ٦٢-٦٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : « **من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبد أحب إلي مما أفترضته عليه ،وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ،فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره إساءته** » منفق عليه ،

وقد زاد بعض الواضاعين والكذابين من عند أنفسهم : عبدي أطعني تكن عبداً ربانياً تقول للشئ كن فيكون ، والذي يقول للشئ كن فيكون هو رب العزة جل وعلا دون أحد سواه : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ [يس : ٨٢]

وطريق الولاية طريق واضح كما ورد في النصوص الشرعية فكل مؤمن تقي ولي من أولياء سواء كان حياً أو مقبوراً .

وولاية العبد بحسب إيمانه وتقواه .

وقد فسر الطبري الأولياء بأنهم أنصار الله ، ثم نقل ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم**

من الله » قالوا : يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم ، فإننا نحبهم لذلك ؟ قال : « **هم قوم تحابوا في الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله أن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس** » وقرأ الآية : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ .

ثم يقول الطبري : والصواب من القول في ذلك أن يقال : « الولي » أعني . ولي الله هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها هو والذي آمن واتقى كما قال الله : ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ اهـ .

وهذه الولاية تستلزم العلم النافع والعمل الصالح ، وهذا يتضمن الإيمان ومتابعة الفرائض بالنوافل ، ومن أداء الفرائض ترك المعاصي ، وإذا كان الأمر كذلك فأفضل الأولياء هم الأنبياء ، وأفضل الأنبياء هم المرسلون : وأفضل الرسل هم أولوا العزم ، وأفضل الأنبياء محمد ﷺ ، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضي الله عنه ، ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين لإجماع الصحابة على ذلك ، ومن قدم علياً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الفضل أو الخلافة فهو ضال مبتدع ولا يصح تقديم عليّ على عثمان رضي الله عنهما ، وقد استقر الأمر على تقديم عثمان في الفضل والخلافة ، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما « كنا نفضل بين أصحاب رسول الله ﷺ فنقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان » رواه البخاري .

وأفضل الصحابة بعد الخلفاء الأربعة ، الستة الباقون إلى تمام العشرة المبشرين بالجنة ، ثم البدريون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية .

والصحابة رضوان الله عليهم هم خيار أولياء الله المتقين لقول النبي ﷺ : « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** » .

وأفضل التابعين على وجه الجملة هو أويس بن عامر القرني ، وأفضلهم علماً هو سعيد بن المسيب كما قال الإمام أحمد وسيدتا التابعين من النساء حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن ، ويقول الإمام الشافعي : إذا لم يكن العلماء بأولياء لله فليس لله ولي . قال تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقال ابن تيمة : « وأولياء الله على طبقتين : سابقون مقربون وأبرار أصحاب يمين مقتصدون » والأولياء غير الأنبياء ليسوا بمعصومين ، فلا عصمة لأحد في هذه الأمة بعد النبي ﷺ ، لا لصاحب ولا إمام ولا ولي ، بل الجميع تجوز عليه الكبائر والصغائر ، لكن للصحابة مزية على كل من جاء بعدهم للسبق للإسلام وجهادهم في سبيل الله ولشرف صحبتهم لرسول الله ﷺ ، ولذلك قال تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنها خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾ [التوبة : ١٠٠]

وقد توهم البعض أن الولاية لا تثبت إلا بحدوث الكشوفات والخوارق ، وقد تمادى فريق في غية عندما قصر الولاية على المقبورين ، مثل أبي العباس المرسي وإبراهيم الدسوقي والسيد البدوي .

ومن هذا العرض الموجز السريع يتبين لنا أن ظاهر الشرع الإسلامي على حد تعبير الصوفية ، كفيل وحده بأن ينتج الولي الذي يباهي به الله ملائكته فضلاً عن أن يسلك الإنسان في رتبة الملائكية كما هو مطمعهم

من رياضاتهم وطرقهم ومجاهدتهم المخترعة والمبتدعة التي يسمونها علم الباطن .

وشهر رمضان المبارك فرصة عظيمة لبلوغ أعلى درجات الولاية المستطاعة والمقدورة ، ففيه تهفوا النفوس إلى الطاعة وتنقطع عن كثير من الغي والعصيان ، فنهارها للصيام وليلها للقيام ، وهو بين هذا وذاك يكثر من الدعاء وتلاوة القرآن ويحرص على أداء العمرة ويخرج زكاة فطره ويكثر من العطاء للبائسين ، أي أنه يتابع الفرائض بالنوافل ، والطاعات كلها متأكدة في هذا الشهر المبارك فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » رواه البخاري .

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » . رواه مسلم .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من فطر صائماً فله مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً » رواه ابن ماجة وابن حبان والترمذي وقال : حديث صحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طاعمه وشرابه** » رواه البخاري .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ : « **أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حيث يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة** » رواه البخاري .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ : « **كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله وشد المئزر** » رواه البخاري ومسلم

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال : « **ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله** » رواه أبو داود والنسائي وسنده حسن .

وكان عبد بن عمرو إذا أفطر يقول : « اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شئ أن تغفر لي » .

وروى الترمذي بسند حسن أنه ﷺ قال : « **ثلاث لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر والإمام العادل والمظلوم** » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً** » رواه البخاري .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة** » رواه البخاري .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين » رواه أبو داود بسند حسن .

وروى مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من صلى في كل يوم وليلة اثنتي عشر سجدة سوى المكتوبة بنى له بيت في الجنة** » **وفي الحديث** «

أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل » رواه مسلم .

وفي الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجة « **عمرة في رمضان تعدل حجة** » **وفي رواية** « **تعدل حجة معي** » .

وفي الحديث « **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلى الجنة** » متفق عليه .

وهذا الشهر المبارك محفوف بصيام قبله وبعده على سبيل التنفل فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان » رواه البخاري ومسلم وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر** » رواه مسلم .

الدرس : الخامس عشر

صيام التطوع والأيام المنهي عن صيامها .

رغّب رسول الله ﷺ في صيام التطوع ، وبين فضله وأجره لأمته حتي تسمو أخلاقهم وتزكو نفوسهم وتنضبط غرائزهم ، وذلك منهاجه الرباني لتربية أصحابه رضي الله عنهم ، فكانوا أشد الناس صبراً علي الابتلاء وأكثرهم رحمة ورأفة مع شدتهم علي الكفار ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ كما كانوا أصبر الناس عن محارم الله عندما تابعوا الفريضة بالنافلة ، واستقاموا علي الفضل الذي دلهم النبي ﷺ عليه ، وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان فضل صيام التطوع فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الصيام جنة وحصن حصين من النار** » رواه أحمد وحسنه الألباني

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ياحذيفة من ختم له بصيام يوم دخل الجنة » رواه البزار وصححه الألباني .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صام يوماً في سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام** » رواه النسائي وحسنه الألباني .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ فقلت ; مرني بأمر ينفعني الله به قال : « **عليك بالصوم فإنه لا مثل له**» رواه أحمد وغيره

وصححه الألباني .

وعنه رضي عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صام يوماً في سبيل الله جعل بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض** » رواه الترمذي وقال : حسن غريب .

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات فشفعني فيه ويقول القرآن : منعته النوم فشفعني فيه فيشفعان** » رواه أحمد والحكم وصححه ووافقه الذهبي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين** » رواه أحمد والترمذي وحسنه . وفي رواية « **حتى يفطر** » .

والمسلمون ينقسمون تجاه هذه العبادة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : هم الذين يكتفون بصيام شهر رمضان باعتباره الصيام الواجب عليهم وهم بهذا يضيعون ويفوتون على أنفسهم أجراً عظيماً وثواباً كبيراً ويقال لهؤلاء ما قال النبي ﷺ للأعرابي : « **أفلح إن صدق - أو - دخل الجنة إن صدق** » .

القسم الثاني : هم الذين يصومون تطوعاً دون التقيد بالسنن بل بالطريقة التي يريدونها وبالأيام التي يختارونها ، فقد يصومون أياماً نهى الرسول ﷺ عن صيامها ، كإفراد يوم الجمعة أو صيام يومي العيدين أو أن يواصلوا الصيام كما يفعل بعض المتصوفة .

القسم الثالث : فهم الذين علموا هدي النبي ﷺ فالتزموا به وأخلصوا الأمر كله لله تعالى فتوافر في عملهم النية والصحة أو الإخلاص والمتابعة قال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ .

ومن الأيام التي يستحب صيامها

١- صيام ستة أيام من شوال :

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

وعن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** » رواه ابن ماجة وصححه الألباني .

وعند أحمد : أنها تؤدى متتابعة وغير متتابعة ولا فضل لأحدهما على الآخر .

وبالتالي فلا يشترط ابتداء الصيام عقب العيد أو ثاني يوم العيد، ومن فعل ذلك فلا بأس

٢- صوم عشر ذي الحجة وتأكيد يوم عرفة لغير الحاج :

عن حفصة قالت : « أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ : صيام عاشوراء والعشر (أي من ذي الحجة) وثلاثة أيام من كل شهر والركعتين قبل الغداة » رواه أحمد والنسائي .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صائماً في العشر قط » رواه مسلم. حديث السيدة حفصة رضي الله عنها يقدم هنا لأن المثبت مقدم على النافي ، ومن علم حجة على من لم يعلم ، وعن أبي هريرة قال : « نهى رسول الله ﷺ عن يوم عرفة بعرفات » رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة . قال الترمذي : قد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة إلا بعرفة .

٣- صيام المحرم وتأكيد صوم عاشوراء :

عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة قال : الصلاة في جوف الليل . قيل ثم أي الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال : « **شهر الله الذي تدعونه المحرم** » رواه مسلم .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن هذا يوم عاشوراء ولم يكتب عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء صام ومن شاء فليفطر** » متفق عليه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا : يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال : « **إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع** » قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ » رواه مسلم .

وقصد التوسعة على النفس والعيال يوم عاشوراء لم يصح به خبر

٤- صيام أكثر شعبان :

قالت عائشة : « **ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان** » رواه البخاري ومسلم وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قلت يا رسول الله . لم

أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « **ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم** » رواه أبو داود والنسائي وصححه ابن خزيمة .

وتخصيص صوم يوم النصف منه ظناً أن له فضيلة على غيره ، مما لم يأت به دليل صحيح .

٥- صوم الأشهر الحرم (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) :

عن رجل من باهلة : أنه أتي النبي ﷺ فقال : يا رسول الله . أنا رجل الذي جئتك عام الأول فقال : « **فما غيرك ،وقد كنت حسن الهيئة ؟** قال ما أكلت طعاماً إلا بليل منذ فارقتك فقال رسول الله ﷺ « **لم عذبت نفسك ؟ ثم قال** : « **صم شهر الصبر ويوماً من كل شهر** » : قال : زدني ، فإن بي قوة قال : « **صم يومين** قال : زدني قال : **صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك** » وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها (أي أشار إليه بصيام ثلاثة أيام وفطر ثلاثة أخرى) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والبيهقي بسند جيد . وتخصيص أول خميس من رجب أو السابع والعشرين منه بالصيام ،لم يرد فيه سنة صحيحة ، بل صيام رجب ليس له فضل زائد على غيره من الشهور إلا إنه من الشهور الحرم وكذلك ولم يصح في قيام ليلة مخصوصة منه حديث .

٦- صوم ثلاثة أيام من كل شهر عربي : (الأيام البيض)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي ﷺ بثلاث : « صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام » متفق عليه .

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشر وأربع عشر وخمس عشرة** » رواه الترمذي وصححه الألباني .

٧- صوم يوم وإفطار يوم :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا صوم فوق صوم داود عليه السلام : شطر الدهر ،صم يوماً وأفطر يوماً** » متفق عليه .

٨- صوم الاثنين والخميس .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **تعرض الأعمال يوم الاثنين و الخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم** » رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني .

٩- الصوم لمن خاف على نفسه العزبة :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ فقال : « **من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » رواه البخاري .

الأيام المنهي عن صيامها

١ - النهي عن صيام يومي العيدين :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم الفطر والنحر » متفق عليه .

وقد أجمع العلماء على تحريم صوم يومي العيدين سواء أكان الصوم فرضاً أم تطوعاً .

٢- النهي عن صوم أيام التشريق (الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة) عن نبيشة الهذلي قال : قال رسول الله ﷺ : « **أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله** » رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي » رواه البخاري .

٣- الترهيب من تقديم رمضان بصوم يوم أو يومين :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم باً فليصم ذلك اليوم** » متفق عليه .

٤- النهي عن صيام يوم الجمعة منفرداً :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم** » رواه مسلم .

وعنه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده** » رواه البخاري .

٥- الترهيب من إفراد يوم السبت بالصوم :

عن الصماء بنت يسر رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **لا تصوموا يوم السبت إلا في فريضة وإن لم يجد أحدكم إلا عود كرم أو لحاء شجرة فليفطر عليه** » ر واه أحمد وصححه الألباني .

٦- النهي عن صوم الدهر :

لقول رسول الله ﷺ : « **لا صام من صام الأبد** » متفق عليه فمن أفطر يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق فقد خرج من حد الكراهة ولا يكون قد صام الدهر كله .

٧- النهي عن صوم يوم الشك :

قال عمار بن ياسر رضي الله عنه : « من صام اليوم الذي شك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ » رواه أهل السنن : وقال الترمذي حديث حسن صحيح . وهو اليوم الذي يشك فيه هل هو من رمضان أو من غيره ، فإذا كان يقضي صوماً عليه أو نذراً عليه كان ذلك اليوم من الأيام التي اعتاد صومها مثل الإثنين والخميس فلا كراهة .

٨- ترهيب المرأة أن تصوم تطوعاً وزوجها حاضر إلا أن تستأذنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه وما أنفقت من كسبه من غير أمره فإن نصف أجره له** » متفق عليه .

وهذا في صيام التطوع أما في صيام رمضان فلا استئذان وكذلك لها أن تصوم من غير إذنه إذا كان غائباً فإذا قدم ،له أن يفسد صومها .

الترهيب من الوصال :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتي السحر** » قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله قال : « **لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني**

وساق يسقيني » رواه البخاري والوصال : هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد .

الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر :

قال الألباني : إسناده جيد .

فعن أم هانئ رضي الله عنها قالت : يا رسول الله لقد أفطرت وكنت صائمة فقال لها : « أكنت تقضين شيئاً ؟ » قالت : لا قال : « فلا يضرك إن كان تطوعاً » رواه أبو داود والترمذي .

وقد ذهب الجمهور إلى عدم وجوب قضاء اليوم .

جواز إجماع النية بعد الفجر للمتطوع :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي النبي ﷺ وسلم ذات يوم فقال : « **هل عنكم شئ** » **قلنا : لا قال** : « **فإني صائم** » رواه مسلم .

أما غير المتطوع فعليه أن يجمع الصيام ويبيت النية قبل الفجر .

حكم من أفطر ناسياً في صيام التطوع :

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **من نسي وهو صائم ،فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه** » رواه الجماعة .

الدرس السادس عشر :

تحقيق الخيرية وظهور الدين بتعجيل الفطر :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر** » متفق عليه .

وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان بلفظ : « **لا تزال أمتي على سنتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم** » . وسنده صحيح

وفي رواية : « **لا تزال أمتي على الفطرة أو لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر** » .

وفي السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر ،إن اليهود والنصارى يؤخرون** » أخرجه أبو داود وأحمد وابن ماجة وسنده حسن وصححه ابن خزيمة وابن حبان .

ومن المعلوم أن تعجيل الفطر هو من جملة الأمور المستحبة وذلك باتفاق العلماء ، وكذلك الأمر بالنسبة لتأخير السحور ، وقد بين النبي ﷺ أن اكتمال معاني الخيرية وظهور الدين لهذه الأمة لا يتحقق إلا بذلك لأن اليهود والنصارى يؤخرون فطرهم ، ومعلوم أيضاً أن النبي ﷺ بلغ أمته كل ما يقربهم من الجنة من واجب ومستحب ، كما نهانا أيضاً عن كل ما يباعدنا عنها من مكروه وحرام ولم يدخر وسعاً في ذلك بل واصل الليل والنهار ، حتى بلغنا البلاغ المبين وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ووضح لأمته صلوات الله وسلامه عليه الغاية من خلقهم ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ . وهذه العبادة مفهوم

واسع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، والمستحب هو أقل درجات العبادة ، ثم الإيمان الذي أمر ربنا جل وعلا العباد به عبارة عن بضع وسبعين شعبة أو بضع وستين شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن طريق والحياء شعبة من الإيمان ، فالطاعات كلها من شعب الإيمان وتسمى إيماناً ، والمعاصي كلها من شعب الكفر وتسمى كفراً ، والطاعات تشمل الواجب والمستحب كإماطة الأذى عن الطريق المسلمين . وقد بين لنا النبي ﷺ طريق الولاية وكيف إنه يكتمل ويتم بمتابعة الفرائض بالنوافل والواجبات يبالمستحبات ، بل العمل بالمستحبات سبب للوصول لدرجة المحبة كما في الحديث القدسي : « **ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه** » وقد بين العلماء أن التوحيد توحيدان ، توحيد المرسل جل وعلا وتوحيد متابعة الرسول ﷺ ، وهذا مقتضى نطقنا بكلمة الشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهي الكلمة التي يدخل الإنسان بنطقها في دين الإسلام وتجري عليه أحكامه في الظاهر ، وتوحيد المرسل يكون بإخلاص العبودية له سبحانه ، واتباع الرسول ﷺ إنما يكون بالعمل بسنته والاقتداء بطريقته ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ والسنة هي كل ما يثبت عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أوتقرير أو صفة يقصد بها التشريع بأن سلكها هو والصحابة من بعده ، وكل ذلك شامل للواجب والمستحب ، وبالتالي فالتوحيد والاتباع إنما يتمان ويكملان للعبد بحرصه على الاستقامة على دين الله وتعظيم شعائر الله وحرماته سبحانه ﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ والخير كل الخير لمن يعظم حرماته تبارك وتعالى ، ولا تتصور طهارة حقيقة للنفوس ولا تزكية كاملة للقلوب إذا كنا نتهاون في المستحبات والسنن ، وقد كان العلماء يفسقون المصر على تركه

النوافل ويردون شهادته .

إذ الفريضة قلما تنفك عن نقص وقصور وبالتالي فما الذي يجبر الخلل والنقص إلا النوافل ، بل وقد يخرج الإنسان من صلاة الفريضة وليس له منها إلا عشرها ، وليس للمرء إلا ما عقل من صلاته ، فكيف يصر على ترك المستحبات بعد ذلك ويضيع على نفسه ثوابها . ولقد كان صحابة النبي ﷺ أحرص الناس على الخير ، ولذلك كانوا أعجل الناس فطراً وآخر الناس سحوراً ، اكتملت فيهم معاني الخيرية ولذلك أثنى عليهم رب العزة من فوق سبع سموات بقوله ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ .

وأثنى عليهم النبي ﷺ بقوله : « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذيبن يلونهم** » .

وأثنى عليهم ابن مسعود رضي الله عنه بقوله : « كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها وأقلها تكلفاً » .

ولن نستحق نحن وصف الخيرية هذا إلا إذا استقمنا على مثل ما استقاموا عليه ، وسلكنا طريقهم رضي الله عنهم ، ومن جملة ذلك تعجيل الفطر وتأخير السحور ، وتشبهنا بخيار أولياء الله المتقين ، وعملنا بهدي سيد المرسلين ، هو العز والنصر والتمكين ، وهو أيضاً أننا قد أخذنا بسبب قوي لإظهار أمر الدين .

قال تعالى : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ .

وقال : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ .

وقال : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾

والمعروف يدخل فيه الواجب والمستحب ، والمنكر يدخل فيه المحرم والمكروه .

وقول النبي ﷺ : « **لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر ،إن اليهود والنصارى يؤخرون** » .

فيه بيان أن ظهور الدين إنما يتحقق بمخالفة طريقة المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى ، والاستقامة على ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ ، وإذا كان اليهود يؤخرون فطرهم فيكره لنا أن نتشبه بهم ، وقد حقق النبي ﷺ مخالفة أهل الكتاب في الصلاة والصيام والأزياء والأردية والأعياد وغير ذلك .

ومن ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **خالفوا المشركين ،أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى** » رواه البخاري ومسلم .

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم** » رواه أبو داود .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر** » رواه مسلم .

وفي الحديث : « **لا يزالون بخير ما لم يؤخروا المغرب إلى طلوع**

النجوم مضاهاة لليهود ،وما لم يؤخروا الفجر إلى محاق النجوم مضاهاة للنصرانية » رواه ابن ماجة من حديث العباس ، ورواه الإمام أحمد من السائب بن يزيد .

وعن ليلى امرأة بشر بن الخصاصية قالت : « **أردت أن أصوم يومين مواصلة فنهاني عنه بشر وقال : إن رسول الله ﷺ نهاني عن ذلك وقال : « إنما يفعل ذلك النصارى ،صوموا كما أمركم الله وأتموا الصوم كما أمركم الله ثم أتموا الصيام إلى الليل فإذا كان الليل فأفطروا** » رواه أحمد وسعيد بن منصور .

وعن أنس رضي الله عنه « أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت : فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى** ﴾ إلى آخر الآية فقال رسول الله ﷺ : « **اصنعوا كل شئ إلا النكاح** » فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه » رواه مسلم .

وهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود ، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم ، ونصوص المخالفة للنصارى والشياطين وأهل الجاهلية كثيرة ، وذلك لأن من تشبه بقوم فهو منهم ومن أحب قوماً حشر معهم ، وتشابه الظواهر تؤدي إلى تشابه البواطن وتورث المودة والمحبة ولا بد .

قال تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ .

فلا يحل لنا أن نشابه الكفار فيما لم يكن من ديننا لا أصلاً ولا

وصفاً، إذ المشابهة تفضي إلى كفر أو معصية ، والاشتراك في الدنيويات يورث المودة فكيف في الدينيات ، ومعلوم أن الله أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ .

وهذه الأمة هي الأمة الوسط بين غلو اليهود وجفو النصارى ، فكل من أراد التباعد عن الإسراف والتقصير والإفراط والتفريط يلزم نفسه بالعدل والاعتدال فعليه باتباع السنة ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ .

وقد بين ﷺ أن مخالفتهم سبب لتحقق الخيرية وظهور الدين ، وهذا هو المقصود بإرسال الرسل : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ .

وقد بين النبي ﷺ فيما صح عنه أنه سيكون من ذلك ما شاء الله أن يكون ، وأن الأمر سيعود خلافة على منهاج النبوة ، وأنه ستظل طائفة من أمته ظاهرين علي الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، فكن واحداً من هؤلاء الذين يعلمون الحق ويرحمون الخلق ويقيمون أمر ربهم وبه يعدلون ، حتى وإن عشت غريباً وسط أهلك وذويك ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة ، والذين يصلحون عند فساد الأمة .

وإن تعجب فأعجب من هؤلاء الذين يستهينون ويستهزئون ليس فقط بالمستحبات وإنما أيضاً بالواجبات بل وبتوحيد الله جل وعلا ، ومع ذلك يطلبون الخير والنصر والتمكين .

واللهم استعملنا في طاعتك ومكن لدينك في الأرض وافتح قلوب الناس .

الدرس السابع عشر :

رمضان شهر الجهاد :

فهذا الشهر المبارك لم تكن أيامه للنوم والراحة وترك العمل ، وإنما كان جهاداً في حياة صحابة رسول الله ﷺ ومن تابعهم بكل معاني الجهاد .

ففي رمضان من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر وتم فيها أول انتصار للإسلام .

قال تعالى في معرض الامتنان على المؤمنين : ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون** ﴾ وذلك لقلة عددهم ، فقد خرج النبي ﷺ في ثلاثمائة بضعة عشر رجلاً على فرسين يقصدون عير وتجارة أبي سفيان لا يريدون حرباً فجمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، واستصرخ أبو سفيان قريشاً فخرجوا بأشرافهم عن بكرة أبيهم في نحو ألف رجل معهم مائة فرس ﴿ **بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط** ﴾ فكانت فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة وانتصرت الفئة القليلة ، لأنها قائمة بدين الله ، تقاتل لإعلاء كلمته سبحانه والدفاع عن دينه .

وفي شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة تم تعبئة الرسول ﷺ في المدينة جيشا لصد عدوان المشركين الذين كانوا يستعدون للثأر لقتلاهم في غزوة بدر .

وفي رمضان من السنة الخامسة للهجرة كان استعداد الرسول ﷺ لغزوة الخندق .

وفي رمضان من السنة السادسة للهجرة بعث رسول الله ﷺ بسرية قائدها زيد بن حارثة لقتال بني قريظة اليهود ، والذين انضموا إلى قريش في غزوة الخندق ، فقاتلهم زيد وقتل كثيراً منهم .

وفي السنة السابعة من الهجرة شهد رمضان سرية غالب بن عبد الله المؤلفة من مائة وثلاثين مسلماً لقتال بني عبد الله بن ثعلبة وكانوا قد أعلنوا عداءهم للمسلمين فانتصر غالب عليهم وغنم منهم كثيراً من الخيرات ساقها إلى المدينة .

وفي رمضان من السنة الثامنة تم فتح مكة وأخذ النبي ﷺ يطعن الأصنام يقوس معه ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾ ، ﴿ **جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد** ﴾ والأصنام تتساقط على وجوهها .

ثم دخل ﷺ الكعبة فإذا صور فأمر بها فمحيت ثم صلى فيها فلما فرغ دار فيها وكبر في نواحيها ووحد الله عزوجل ثم وقف على باب الكعبة وقريش تحته ينتظرون ما يفعل فأخذ بعضادي الباب قال : « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ يا معشر قريش ، ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال : « **فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ﴾ اذهبوا فأنتم الطلقاء** »

وبهذا الفتح المبين تم نصر الله ودخل الناس في دين الله أفواجاً واندحر الشرك وتبدد ظلامه .

وفي رمضان من السنة التاسعة للهجرة كانت عودة الرسول ﷺ من غزوة تبوك المظفرة .

ثم تتوالى الغزوات والانتصارات بعد ذلك وكثير منها يحدث في هذا الشهر المبارك كعين جالوت وحطين .

وهذا أيضاً هو شهر جهاد النفس والشيطان ، حيث يجعل المؤمن لنفسه خطاماً وذماماً فيقودها بخطامها إلى طاعة الله ويدمها بدمامها عن معصيته ويتشبه فيه المسلم بالملائكة الذين ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ و ﴿**يسبحون لليل والنهار ولا يفترون** ﴾ فتتقوى فيه معاني الإيمان ويستعصي على وساوس الشيطان وكلها معان من أعظم أسباب النصر على الكفار في ساحة الحرب .

وإذا كنا اليوم نريد أن نأخذ بأسباب القوة - ولا بد أن نفعل - فعلينا أن ننتهز فرصة هذا الشهر المبارك فنتربى فيه ونربي غيرنا ، تربية إيمانية بحيث نحرص على الواجبات والمستحبات ونتباعد عن المكروهات والمحرمات .

وإلا فأعظم معاني القوة قوة الإيمان ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ ونتأسى بسلفنا الصالح في جهادهم ونقرأ الغزوات التي حدثت في هذا الشهر المبارك وغيره قراءة واعية لنستخلص منها أسباب النصر ونتعرف من خلالها على سنن التمكين في الأرض .

وحينئذ سندرك بإذن الله أن الغيرة على الحرمات ، والاستعداد للبذل والتضحية والرغبة في الشهادة في سبيل الله لابد وأن يوجد

ويتواكب معه مراعاة للسنن الكونية والسنن الشرعية ، وفهم الجهاد فهماً شرعياً صحيحاً ، ومعرفة بالواقع معرفة جيدة دون تهويل أو تهوين ، ومراعاة الفرق بين الوضع قبل التمكين والوضع بعده ، وبين حالة الضعف وحالة القوة والاستطاعة ، ولا داعي في ذلك كله للعجلة والتهور والاندفاع ولذلك عندما أتى خباب بن الأرت رضي الله عنه لرسول الله ﷺ يقول له : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا غضب النبي ﷺ وبين له السنن واكتفى لتعريفه وتذكيره وتقويته لأنه لا تمكين قبل الابتلاء ، ثم قال له . . . . « **ولكنكم تستعجلون** » .

ولا حجر على سعة رحمة الله فكم من بلد فتحت بالقرآن كالمدينة وكم من بلد فتحت بالسيف والسنان .

والأصل في دماء المسلمين أنها محرمة بيقين فلا تستباح بشبهات بل لابد من يقين مثله ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما ينظر إلى الكعبة ويقول : « **إن الله عظمك وشرفك وحرمك وإن المؤمن أعظم حرمة عند الله منك** » .

ولا بد من التفريق بين الحكم والفتوى فالحكم : هو النصوص والقواعد الشرعية ، والفتوى : هي تطبيق الحكم على الواقع ، ولا يجوز في ذلك تطبيق الحكم على غير واقعه المساوي له ، وعلينا أن نعلم أن شرع الله مصلحة كله وحيثما كانت المصلحة الشرعية المنضبطة فثم شرع الله ، ولذلك لم يقتل النبي ﷺ عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين ، وذلك لأن قتله كان يتضمن مفسدة أعظم من مصلحة إزالة المنكر ، وقال : « **فكيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه** » وقال ﷺ أيضاً : « **إذا ترعد أنف كثيرة له بيثرب** » .

والدعوة والنصيحة وعزل الحاكم إذا استوجب العزل وإقامة المجتمع الإسلامي والجهاد في سبيل الله كلها داخله ضمن مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بالتالي فعلينا أن نتعرف على فقه هذا الواجب حتى لا ننكر منكراً ونستجلب منكراً أعظم من المنكر المزال ، أو نثبت هذا المنكر ونأتي بمنكر آخر ، أو نجر الضرر والأذى على الاخرين بإنكارنا وخطئنا ، أو نتلف هذه النفس في غير مصلحة شرعية ، ولنعلم أن الغاية لا تبرر الوسيلة فالغاية محمودة والوسيلة إليها يجب أن تكون مشروعة ، ورب العزة جل وعلا تعبد عباده بالأخذ بالأسباب ولم يتعبدهم بالنتائج ، والتمكين في الأرض ما هو إلا محض فضل وتوفيق من الله : ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**﴾ وفي الاية الأخرى يقول سبحانه : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ .

وقد مر الجهاد بمراحل متعددة ، فكان الكف والإعراض والصبر على الأذى ، ثم إباحة القتال من غير فرضية ، ثم فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط ثم قتال الكفار ابتداءاً .

وجهاد الدفع فرض عين ، أما جهاد الابتداء والطلب فهو فرض كفاية على مجموع المسلمين وهذا إذا كان للمسلمين سلطان ، فإن لم يكن لهم سلطان فيكون جهادهم بحسب الاستطاعة إذ الواجب يسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ ونسخ آية السيف لما كان قبلها من أحكام الجهاد ليس معناه إبطال العمل بمراحل

الجهـاد إذ الواقع هو الذي يحـدد لنا أي الأحكام هي الأنسب في مراحل الجهاد ، وهذا متفق عليه .

فمن كان بأرض هو بها مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح كما يقول ابن تيمية ، كحالة الصحابة بمكة ، بل وتكلم العلماء في جواز دفع المال للكفار عند ضعف المسلمين والخوف من استئصالهم ، ولا يصح بعد ذلك الاستهانة بالطاعات ، كطلب العلم ونحوه ، وعلينا أن نعيش طاعة الوقت حتى لا نبني قصوراً في الرمال ونفسد من حيث نرجو النفع والثواب ، وإذا كانت الدعوة مستطاعة ومقدورة لنا فليس لنا أن نتخلف عنها ، والكلمة قد تكون أوقع من ضربات السيوف ، والخير كله بيد الله يؤتيه من يشاء ، فاللهم انصر عبادك المؤمنين ومكن لدينك في الأرض وافتح له قلوب الناس .

الدرس الثامن عشر :

رمضان شهر الصبر وشهر الشكر :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي ،للصائم فرحتان ،فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ،ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ،والصيام جنة ،وإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم** » متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمرو : أن النبي ﷺ قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد ،يقول الصيام أي ربي إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني** » رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

فالصوم لله تعالى وهو يجزي به وذلك لأنه شهر الصبر ولذلك أطلق جزاءه : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ .

وقد أخبر سبحانه أنه معهم بهدايته وتوفيقه فقال تعالى : ﴿ **واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ .

وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين قال تعالي : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [السجدة : ٢٤] .

وأخبر سبحانه أن الصبر خير لأهله فقال : ﴿ **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ [النحل : ١٢٦] .

كما أخبر سبحانه أنه مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو فقال تعالى : ﴿ **وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما تعملون محيط** ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

وعلق الفلاح بالصبر والتقوى فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا اتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

وأخبر عن محبته لأهله فقال : ﴿ **والله يحب الصابرين** ﴾ .

وجعل الفوز والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون فقال عز وجل : ﴿ **إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون** ﴾ [المؤمنون : ١١١] .

وخص في الانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر فقال في أربع آيات من كتابه : ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [الشورى : ٣٣]

والصبر خلق فاضب تمتنع به النفس من فعل ما لا يحسن ولا يجمل وقال عنه البعض : هو تجرع المرارة من غير تعبس ، أو هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب ، أو هو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر** » متفق عليه .

وقد ذكر أخوانا الفضل أحمد فريد في كتابه القيم (البحر الرائق) أن النفس مطية العبد التي يسير عليها إلى الجنة أو إلى النار ، والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطية فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمام شردت

في كل مذهب قال بعضهم : « اقعدوا هذه النفوس فإنها طلعة إلى كل سوء فرحم الله امرءاً جعل لنفسه خطاماً (و) زماماً فقادها بخطامها إلى طاعة الله وصرفها بزمامها عن معاصي الله ، فإن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه ، والنفس لها قوتان : قوة الإقدام وقوة الإحجام فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام ما ينفعه ، وقوة الإحجام مصروفة على إمساكاً عما يضره ، ومن الناس من يصبر على قيام الليل ومشقة الصيام ولا يصبر على نظرة محرمة ومنهم من يصبر على النظر والالتفات إلى صور ، ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ، وقيل الصبر شجاعة النفس ومن هنا أخذ القائل قوله : الشجاعة صبر ساعة ، والصبر والجزع ضدان كما أخبر تعالى عن أهل النار ﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ﴾ [إبراهيم : ٢١] .

والإنسان لا يستغنى عن الصبر في حال من الأحوال ، وكما قالوا : لابد للعبد من أمر يفعله ونهي يجتنبه وقدر يصبر عليه .

وكل ما يلقى العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين : **أحدهما** يوافق هواه ومراده والآخر يخالفه وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما .

قال بعض السلف : البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر أما العافية فلا يصبر عليها إلا الصديقون .

ونحن في هذا الشهر المبارك أحوج ما نكون إلى الصبر على الصيام والقيام وتلاوة القرآن وسائر الطاعات وكف النفس عن كل ما يغضب الله تعالى ، وليس الصيام مجرد إمساك عن الأكل والشرب والجماع ، وإنما هو إمساك - بالإضافة إلى ذلك - عن سائر ما نهى الله عنه فعن أبي هريرة : أن النبي ﷺ قال : « **ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام**

من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل : إني صائم إني صائم » رواه ابن خزيمة والحاكم وقال : على شرط مسلم .

ولما كان النصر مع الصبر ، لقول النبي ﷺ لابن عباس : « **وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً** » لم يكن عجيباً أن تقع معظم انتصارات الأمة وفتوحاتها في هذا الشهر المبارك الذي هو شهر الصبر ، هذا وإذا كان الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر والعبد يتقلب بين بلية يجب عليه أن يضبر عليها ونعمة يجب عليه أن يشكرها لربه ، فمن الممكن أن يصل العبد إلى أعلى درجات الإيمان المستطاعة والمقدورة في شهر رمضان ، الذي هو شهر الصبر والشكر في آن واحد قال تعالى : ﴿ **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله علي ما هداكم ولعلكم تشكرون** ﴾

والشكر : الثناء على المنعم بما أولاكه من معروف . وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان لا يكون شكراً إلا بمجموعها . وهي الاعتراف بالنعمة باطناً والتحدث بها ظاهراً ، والاستعانة بها على طاعة الله ، فالشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح ، فالقلب للمعرفة والمحبة ، واللسان للثناء والحمد ، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه قال تعالى ﴿ **ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم** ﴾ [النساء : ١٤٧] .

والعبد إما شاكر وإما كفور فقال سبحانه : ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** ﴾ وأهل الشكر هم المخصوصون بمنته سبحانه قال تعالى : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾ [الأنعام : ٥٣] .

والشكر من العبد سبب المزيد من الله ﴿ **وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم**

لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم : ٧]ووصف سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من عباده فقال تعالى : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ [سبأ : ١٣] .

وأثنى على أنبيائه بذلك فقال عن نوح : ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً** ﴾ . [الإسراء : ٣] .

وقال عن إبراهيم : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم** ﴾ [النحل : ١٢٠-١٢١] وقال عن سليمان : ﴿ **هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم** ﴾ [النمل : ٤٠] وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قام حتى تفطرت قدماه ، فقيل له : أتفعل هذا وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » . وكان يقول لمعاذ : « والله إني لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » رواه أبو داود وصححه النووي ، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها » وقال الحسن : أكثروا من ذكر هذه النعم فإن ذكرها شكر وقد أمر الله نبيه أن يحدث بنعمة ربه فقال : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ [الضحى : ١١] والله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده فإن شكرها بلسان الحال .

وكان أبو المغيرة إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا محمد ؟ قال : أصبحنا مغرقين في النعم عاجزين عن الشكر ، يتحبب إلينا ربنا وهو غني ونتمقت إليه ونحن إليه محتاجون .

وعن سفيان في قوله : ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ [القلم : ٤٤] قال : يسبغ النعم عليهم ويمنعهم الشكر .

وقال غيره : كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة .

وقال الحسن : ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله إلا كان ما أعطي أكثر مما أخذ .

بل التوفيق لكلمة الحمد يستدعي حمداً آخر .

فله الحمد سبحانه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة ، والحمد لله بالإيمان والقرآن ، والحمد لله الذي بلغنا رمضان ونسأله سبحانه أن يتقبله منا ، فهو شهر العتق من النيران ، ورغم أنف عبد أدرك رمضان ولم يغفر له

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح فيها باب وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة** » رواه الترمذي وابن ماجة ورواه أحمد وله شاهد في المسند يتقوى به ، كل هذه النعم تستوجب الشكر .

فإذا أردنا أن نكون من الشاكرين حقاً فعلينا أن نتعلم ما يقربنا من الله فيه ، ونشيع فضائله في الخلق ، ونصرف شهرنا في كل طاعة ونصون لحظاته عن كل معصية .

الدرس التاسع عشر :

الاعتكاف :

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ : « **كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره** » رواه مسلم ، وفي الصحيحين عنها قالت : « كان النبي إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » وفي المسند عنها قالت : « كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم فإذا كان العشر شمر وشد المئزر » وظاهر هذا الحديث أنه ﷺ كان يحيي الليل كله في عبادة ربه من الذكر والقراءة والصلاة والاستعداد لذلك والسحور وغيرها ، بهذا يحصل الجمع بينه وبين ما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما أعلمه ﷺ قام ليلة حتى الصباح » لأن إحياء الليل الثابت في العشر يكون بالقيام وغيره من أنواع العبادة ، والذي نفت إحياء الليل بالقيام فقط ، ولا ينبغي للمؤمن العاقل أن يفوت فرصة هذه الأيام المباركات على نفسه وأهله فلعله يفوز برضوان ربه ويدرك بها سعادة الدارين .

ومن خصائص العشر الأواخر أن النبي ﷺ كان يعتكف فيها فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ « اعتكف العشر الأول من رمضان ثم الأوسط قال : ثم أتيت فقيل لي : « إنها في العشر الأواخر فمن أحب أن يعتكف فليعتكف » رواه مسلم ، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده » وفي صحيح البخاري عنها قالت : « كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً » .

والاعتكاف سنة في رمضان وغيره من أيام السنة ومعناه لغة : لزوم الشئ وحبس النفس عليه خيراً كان أم شراً .

وشرعاً : المقام في المسجد من شخص مخصوص على صفة مخصوصة وليس بواجب إجماعاً إلا على من نذره ، وروي في الحديث : « **من اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين** » وقد ثبت أن عمر رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام ؟ قال : « **فأوف بنذرك** » رواه البخاري .

ومن أركان الاعتكاف الإسلام والتمييز والعقل والطهارة ، ولذلك فالردة عن الإسلام تبطله وكذلك ذهاب العقل والحيض أو النفاس أو الجماع أو الإنزال كل ذلك من مبطلات الاعتكاف قال تعالى : ﴿ **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد** ﴾ وإذا بطل الاعتكاف استحب قضاؤه .

ومن نذر الاعتكاف في مسجد معين لا يلزمه المسجد الذي حدده إلا إذا نذره في المسجد الحرام أو مسجد النبي ﷺ أو المسجد الأقصى ، فهذه هي المساجد الثلاثة التي يجوز شد الرحال إليها ، أما لغيرها فلا ، وإن نذره في المسجد النبوي جاز أن يعتكف في المسجد الحرام لأنه أفضل منه ، وإن نذره في المسجد الزقصى فله الاعتكاف في أي المساجد الثلاثة . **شروطه** : لا يشرع إلا في المساجد ، فعن عائشة رضي الله عنها : السنة في المعتكف أن لا يخرج إلا لحاجته التي لا بد له منها ولا يعود مريضاً ولا يمس امرأته ولا يباشرها ، ولا اعتكاف إلا في مسجد جماعة والسنة فيمن اعتكف أن يصوم » رواه البيهقي بسند حسن .

وينبغي أن يكون مسجداً جامعاً لكي لا يضطر للخروج منه لصلاة الجمعة فإن الخروج لها واجب عليه ، لقول عائشة في رواية عنها في حديثها السابق : « ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع » وبالتالي فلا يجوز الاعتكاف في حجرة من المنزل .

ولم يثبت أن النبي ﷺ دخل غار حراء بعد البعثة ، خلافاً لما تصنعه الصوفية من الاعتزال في الخرائب وإنما كان ﷺ يعتكف في المسجد .

٢- والسنة فيمن اعتكف أن يصوم كما تقدم عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا القول هو الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف ، أن الصوم شرط في الاعتكاف وهو الذي كان يرجحه ابن تيمية ، وترتب عليه أنه لا يشرع لمن قصد المسجد للصلاة أو غيرها أن ينوي الاعتكاف مدة لبثه فيه كما ورد عن يعلي بن أمية قال : إني لأمكث في المسجد ساعة ما أمكث إلا لأعتكف ، وقال عطاء : هو اعتكاف ما مكث فيه ، وإن جلس في المسجد احتساب الخير فهو معتكف وإلا فلا ، وقد استدل هذا الفريق بأن عمر رضي الله عنه اعتكف ليلة في المسجد الحرام كان قد نذرها ومعلوم أن الليل لا صوم فيه .

ما يجوز للمعتكف

١- يجوز له أن يخرج بعض بدنه من المسجد لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله وأنا حائض ، وفي رواية كانت ترجل رأس النبي ﷺ وهي حائض ، وهو معتكف في المسجد ، وهي في حجرتها يناولها رأسه وإن كان خروجه بجميع بدنه فهو ثلاثة أقسام :

الأول : الخروج لأمر لابد منه طبعاً أو شرعاً ، كقضاء حاجة البول والغائط والوضوء الواجب والغسل لجنابة أو غيرها والأكل والشرب هذا جائز إذا لم يمكن فعله في المسجد ، فإن أمكن فعله في المسجد فلا . مثل أن يكون في المسجد حمام يمكنه أن يقضي حاجته فيه وأن يغتسل فيه ، أو يكون له من يأتيه بالأكل والشرب فلا يخرج حينئذ لعدم الحاجة إليه .

الثاني : الخروج لأمر طاعة لا تجب عليه ، كعيادة المريض وشهود جنازة ونحو ذلك فلا يفعله ، إلا أن يشترط ذلك في ابتداء اعتكافه مثل أن يكون عنده مريض يحب أن يعوده أو يخشى من موته ، فيشترط في ابتداء اعتكافه خروجه لذلك فلا بأس به .

الثالث : الخروج لأمر ينافي الاعتكاف ، كالخروج للبيع والشراء وجماع أهله ومباشرتهم ونحو ذلك ، فلا يفعله لا بشرط ولا بغير شرط لأنه يناقض الاعتكاف وينافي المقصود منه .

٢- ويجوز للمعتكف أن يتخذ خيمة صغيرة في مؤخرة المسجد يعتكف فيها ، لأن عائشة رضي الله عنها كانت تضرب للنبي ﷺ خباء إذا اعتكف وكان ذلك بأمره ﷺ ، رواه الشيخان . ويجوز أن يضع فراشه أو سريره فيها ، لما رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه كان إذا اعتكف طرح له فراش أو يوضع له سرير وراء إسطوانة التوبة ، رواه ابن ماجة والبيهقي .

إباحة اعتكاف المرأة وزيارتها زوجها في المسجد :

فعن عائشة أن النبي ﷺ « كان إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه وأنه أراد مرة أن يعتكف في العشر الأواخر من رمضان فأمر ببنائه فضرب : قالت عائشة : فلما رأيت ذلك أمرت ببنائي فضرب وأمر

غيري من أزواج النبي ﷺ ببنائه فضرب فلما صلى الفجر نظر إلى الأبنية فقال : ما هذه / آلبر تردن ؟ . قالت : فأمر ببنائه فقوض وأمر أزواجه بأبنيتهن فقوضت ثم أخر الاعتكاف إلي العشر الأول « يعني من شوال » وفي الحديث أن للرجل أن يمنع زوجته من الاعتكاف بغير إذنه وإليه ذهب عامة العلماء .

واختلفوا فيما لو أذن لها هل يمنعها بعد ذلك ؟ فعند الشافعي وأحمد وداود : له منعها وإخراجها من اعتكاف التطوع . وفيه أيضاً أن للمعتكف أن يقطع اعتكافه المستحب متى شاء قبل قضاء المدة التي نواها ، وفي شرح مسلم سبب إنكاره أنه خاف أن يكن غير مخلصات في الاعتكاف بل أردن القرب منه ﷺ لغيرتهن عليه . أو غيرته عليهن فكره ملازمتهن المسجد مع أنه يجمع الناس ويحضره الأعراب والمنافقون . وهنن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض لهن فيتبذلن بذلك ، أو لأنه ﷺ رآهن عنده في المسجد وهو في المسجد فصار كأنه في منزله بحضوره مع أزواجه وذهب المهم من مقصود الاعتكاف وهو التخلي عن الأزواج ومتعلقات الدنيا وشبه ذلك أو لأنهن ضيقن المسجد بأبنيتهن » .

ويجوز للمرأة أن تزور زوجها وهو في معتكفه ، وأن يودعها إلى باب المسجد لقول صفية رضي الله عنها : « كان النبي ﷺ معتكفاً [في المسجد في العشر الأواخر من رمضان] فأتيته أزوره ليلاً [وعنده أزواجه فرحن] فحدثته (ساعة) ثم قمت لأنقلب (فقال : لا تعجلي حتى أنصرف معك) فقام ليقلبني وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد [حتى إذا كان عند باب المسجد الذي عند باب أم سلمة] فمر رجلان من الأنصار

فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا ، فقال النبي ﷺ : « **على رسلكما إنها صفية بنت حيي** » فقالا : سبحان الله يا رسول الله ؛ قال : « **إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكم شراً أو قال : شيئاً** » أخرجه الشيخان .

ويجوز للمرأة أن تعتكف مع زوجها أو لوحدها لقول عائشة رضي الله عنها : « اعتكف مع رسول الله ﷺ امرأة مستحاضة « وفي رواية أنها أم سلمة » من أزواجه فكانت ترى الحمرة والصفرة فربما وضعنا الطست تحتها وهي تصلي » رواه البخاري . وقالت أيضاً : « كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حت توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده » أخرجه الشيخان . وإذا جامع الرجل امرأته بطل اعتكافه ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ولا كفارة عليه .

متى يبدأ اعتكاف العشر الأواخر من رمضان :

قال الشوكاني في نيل الأوطار : قال الأئمة الأربعة وطائفة من العلماء : يدخل المعتكف قبيل غروب الشمس ويخلو بنفسه في المكان الذي أعده للاعتكاف بعد صلاة الصبح وذلك ، في مغرب اليوم العشرين من رمضان . ويخرج بعد غروب شمس آخر يوم من الشهر ، وعليه أن يغتنم فرصة اعتكافه في الإكثار من نوافل العبادات ويشغل نفسه بالصلاة وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار والصلاة والسلام على النبي ﷺ والدعاء ونحو ذلك من الطاعات التي تقرب إلى الله تعالى ، ويدخل في هذا دراسة العلم واستذكار كتب التفسير والحديث والفقه والسير ، ويكره له أن يشغل نفسه بما لا يعنيه ، فاللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ووفقنا لما فيه صلاح ديننا ودنيانا .

-الدرس العشرون :

ليلة القدر : اللهم إنك عفو : منهج التربية :

ليلة القدر هي أفضل ليالي رمضان ، وهي أفضل ليالي العام وذلك لقوله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ أي : العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

وفي هذه السورة فضائل متعددة لهذه الليلة المباركة :

الأولى : أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

الثانية : ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله : ﴿ **وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ ؟ .

الثالثة : أنها خير من ألف شهر .

الرابعة : أن الملائكة تتنزل فهيا بالخير والبركة والرحمة .

الخامسة : أنها سلام لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل .

السادسة : أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تتلى إلي يوم القيامة ومن فضائل ليلة القدر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » فقوله : إيماناً واحتساباً يعني : إيماناً بالله وبما وعد الله من الثواب للقائمين فيها ، واحتساباً للأجر وطلب الثواب وهذا حاصل لمن علم بها ومن لم يعلم ، لأن النبي ﷺ لم يشترط العلم بها في حصول

هذا الأجر .

قال الحافظ في الفتح : « معنى القدر هنا أنه يقدر فيها أحكام تلك السنة لقوله تعالى : ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ قال النووي : قال العلماء سميت ليلة القدر لما كتبت فيها الملائكة من الأقدار . وليلة القدر في رمضان لأن الله أنزل فيها القرآن ، وقد أخبر سبحانه أن إنزاله في شهر رمضان ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ وهي موجودة في الأمم السابقة وفي هذه الأمة إلى يوم القيامة لما روى الإمام أحمد والنسائي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أهي في رمضان أم في غيره ؟ قال : بل هي في رمضان » قال : تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت ، أم هي إلي يوم القيامة ؟ قال ﷺ : « **بل هي إلي يوم القيامة** » .

لكن فضلها وأجرها يختص والله أعلم بهذه الأمة كما اختصت هذه الأمة بفضلية يوم الجمعة وغيرها من الفضائل ولله الحمد ، قال ابن حجر رحمه الله : « وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافاً كثيراً وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أربعين قولاً وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الأخير وأنها تنتقل كما يفهم من الأحاديث وأرجاها أوتار العشر ، وأرجى أوتار العشر عند الجمهور لية سبع وعشرين » .

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « **تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأخير من رمضان** » رواه البخاري ، وعن زر بن حبيش قال : سمعت أبي بن كعب يقول : -قيل له - إن عبد الله بن مسعود يقول : من قام السنة أصاب ليلة القدر ، فقال أبي رضي الله عنه : رحمه الله أراد ألا يتكل الناس ، والذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان

- يحلف ما يستثنى - والله إني لأعلم أي ليلة هي ؟ هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها هي صبيحة سبع وعشرين ، وأماراتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها ، ورفع ذلك في رواية إلى النبي ﷺ » رواه مسلم وغيره . وروى أحمد - بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان متحريها فليتحرها ليلة السابع والعشرين » .

وعن رؤية علامة تظهر لمن وفقت له هذه الليلة ، قال ابن المنير في الحاشية : ولا نعتقد أن ليلة القدر لا ينالها إلا من رأي الخوارق ، بل فضل الله واسع ورب قائم تلك الليلة لم يحصل منها إلا على العبادة من غير رؤية خارق وآخر رأى الخارق من غير عبادة ، والذي حصل على العبادة أفضل والعبرة إنما هي بالاستقامة فإنها تستحيل أن تكون إلا كرامة ، بخلاف الخارق فقد يقع كرامة وقد يقع فتنة والله أعلم .

وقد أخفى الله سبحانه علمها على العباد رحمة بهم ليكثر عملهم في طلبها في تلك الليالي الفاضلة بالصلاة والذكر والدعاء فيزدادوا قربة من الله وثواباً ، وأخفاها اختباراً لهم أيضاً ليتبين بذلك من كان جاداً في طلبها حريصاً عليها ممن كان كسلان ، متهاوناً فإن من حرص على شئ جد في طلبه وهان عليه التعب في سبيل الوصول إليه والظفر به ، وربما يظهر الله علمها لبعض العباد بأمارات وعلامات يراها كما رأى النبي ﷺ أنه يسجد في صبيحتها في ماء وطين فنزل المطر في تلك الليلة فسجد في صلاة الصبح في ماء وطين .

اللهم إنك عفو تحب العفو ، فاعف عني

روى أحمد وابن ماجة والترمذي وصححه عن عائشة رضي الله

عنها قالت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : قولي : « **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** » فالله سبحانه هو العفو وقد وصف نفسه بذلك في أكثر من موضع فقال سبحانه : ﴿ **وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعفو غفور** ﴾ .

وقال : ﴿ **فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً** ﴾ .

وقال : ﴿ **إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً** ﴾ وقد ندبنا سبحانه للعفو فقال : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** ﴾ وقال ﴿ **فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره** ﴾ . والعفو ترك المؤاخذة بحيث يكون إصلاحاً .

فأما العفو الذي تزداد به جريمة المعتدي فليس بمحمود ولا مأجور عليه والصفح : إزالة أثره من النفس .

وقال تعالى : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » وقال : ﴿ إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ وقال : ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ وأنت في رمضان لا بد وأن تتحلى بهذه الخصلة فإن سابك أحد أو قاتلك فقل رني صائم . بل وعليك أن تتجمل بهذه الصفة في حياتك كلها ، فعلى كثرة عيوبك ومساويك ترجو عفو ربك ، فلماذا لا تعفو إذا قصر الآخرون في حقك أو أخطأوا في أمر معك ، واعلم أن الجزاء من جنس العمل ، وإذا كان رب العزة قد أطمعنا في عفوه فعلينا أن نضرع إليه سبحانه أن يعفو عنا لما بدر منا من تقصير في طاعته ومن ذنوب وسيئات كان أحرى أن نصون القلب والجوارح عنها : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ .

فاللهم اجعلنا ممن صام الشهر وأدرك ليلة القدر وفاز بالثواب الجزيل والأجر .

منهج التربية

لا تخطئ إذا عن هذا الشهر ، هو شهر التربية وذلك فيما يتعلق بمعاني العقيدة والعبادة ، بحيث يخرج المسلم منه وقد صفت نفسه وزكا قلبه وتطهرت روحه وسما عقله ، ثم هو بعد ذلك زاد للعبد في مسيره وارتحاله إلى ربه ، لا يحتاج معه لمثل هذا الابتداع الذي خرجت به الصوفية وأشباههم زاعمين أنهم احتكروا بذلك طرائق التربية والسلوك ، فلم يقتصر الأمر على ترك الكلام والجلوس في الشمس وتعذيب النفس والرقص والغناء والسماع الشيطاني والأذكار المبتدعة والسعي الضال وراء ما يسمى بالفتوحات وترك النظافة والعزلة والعيش على طعام واحد إلى غير ذلك من المخالفات بل امتد هذا البلاء من حقل التربية إلى تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن ، ووضع الحديث وإفساد العقيدة وتحطيم الشرع وفتح الباب للخرافات والشركيات والفلسفات الهالكة .

كالقول بوحدة الوجود ثم القول بإسقاط التكاليف ومن خلالها تسرب كثير من البدع الضالة إلى الإسلام وأشاعت في الامة الخمول والتعلق بالأوهام وترك الجهاد .

وقد ظهر التصوف بمقاييسه في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، وكان معروفاً من قبل في بيئات غير عربية ، انتشرت فيها الديانات الوثنية كالبوذية والبراهمية والفكر الإغريقي .

وكان من أسباب انتشار الصرفية ظهور سلطان الموالي من غير

العرب لا سيما الفرس كما ساعد على ذلك ترجمة كتب الفرس والروم والهند .

وليس في لغة العرب إشارة إلى صوفية أو صوفي بنفس المعنى الذي يهدف إليه أعلام التصوف ، كما أن الكتاب والسنة لا إشارة فيهما للتصوف لا بلفظه ولا بمعناه ، بل هذا الاتجاه على هذا النحو لم تعرفه البيئة العربية قبل الإسلام .

ولا يصح الاحتجاج بفترات التحنث في غار حراء أو يقول البعض طريقنا مقيدة بالكتاب والسنة وإلا فإن كان الأمر كذلك فلماذا المناداة بالصوفية ، وهل يصدق هذا القول على هذه الاعتقادات الخربة التي خرج بها أمثال الحلاج وابن سبعين وابن الفارض وابن عربي ، الذي صادر الأزهر كتبه لما فيها من كفر وإلحاد .

وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية ابن عربي بأنه من ملاحدة الصوفية وكان يطلق على بعضهم ، اسم موسويه المحمدية وعيسوية المحمدية وذلك للتشابه الكبير بينهم وبين اليهود والنصارى وقد رد التفسيرات الخاطئة للغزالي عندما أقحم على الإسلام أفكار بعض فلاسفة اليونان . وإن كان قد أعجبه بعض فصول كتاب « إحياء علوم الدين » مثل المهلكات والمنجيات » .

والغزالي كان جاداً في طلب الحقيقة ولكنه لم ينشأ بين محدثين ولم يتلق الحديث عن أصحابه .

ونحن في هذا الصدد لا بد وأن نرد أيضاً الإنتاج الفلسفي لكافة الفلاسفة كالكندي والفارابي وابن سينا وينبغي أن نفرق جيداً بين ابن سينا الطبيب وابن سيا الفيلسوف ، فنحن نقبل طبه ونرفض

فلسفته، وليكن ضابطنا دائماً في القبول والرد هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والرجوع إلى سلف الأمة الذين اتبعوا منهج الكتاب والسنة توحيداً واتباعاً وتزكية . فلم يقعوا في الشرك الظاهر ولا التأويل الباطل أو ضلال السلوك وترهات التصوف . وبهذا المنهج بإذا الله يبلغ المسلم الكمال المقدور له بتناسق وفي جميع شئونه ، فلا يقبل على جانب واحد ويهمل بقية الجوانب بل يسير باعتدال وشمول وربما يوافق الفطرة دون إرهاق ولا حرج ولا انعزال عن الحياة وأهلها .

الدرس الحادي والعشرون

للصائم دعوة لا ترد :

روى الترمذي بسند حسن أن النبي ﷺ قال « **ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل والمظلوم** » وروى ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن النبي ﷺ قال : « **إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد**» وسنده ضعيف ، كما قال ابن القيم .

وكان عبد الله بن عمر يقول إذا أفطر : « اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شئ أن تغفر لي » .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أفطر قال : « **ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله** » رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن . فيستجاب الدعاء عند الإفطار وأثناء الصيام وثبت أن النبي ﷺ دعا لمن أكل عنده فقال : « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة » رواه أبو داود وبسند صحيح ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « قلت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال ﷺ : « **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** » رواه أحمد وابن ماجة والترمذي وصححاه ، فهذا الشهر المبارك هو شهر الدعاء خصوصاً ، والمسلم يتقلب فيه بين صيام وقيام ويكثر من السجود في نفله وفرضه ، والذي هو مظنة الإجابة ، كما يحرص فيه على السحور في آخر الليل ولا تفوته الدعوات الصالحات في هذا الوقت الفاضل ولذلك لا عجب أن ختمت آيات الصيام بقوله تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ﴾ .

عن ابن عباس قال : قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك ؟ فنزلت هذه الآية .

وقال الحسن : سببها أن قوماً قالوا للنبي ﷺ : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت .

وقال عطاء وقتادة : لما نزلت : ﴿ **وقال ربكم ادعوني استجب لكم** ﴾ قال قوم : في أي ساعة ندعوه ؟ فنزلت .

وفي الحديث الذي رواه أبو داود عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال : « **الدعاء هو العبادة ،قال ربكم ادعوني أستجب لكم** » وكان خالد الربعي يقول : عجبت لهذه الأمة في : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة وليس بينهما شرط .

قال له قائل : مثل ماذا قال ؟ قوله : ﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فها هنا شرط وقوله : ﴿ **وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق** ﴾ فليس ها هنا شرط العمل .

ومثل قوله : ﴿ **فاعدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ فها هنا شرط .

وقوله : ﴿ **ادعوني استجب لكم** ﴾ فليس فيه شرط .

وكانت الأمم تفزع إلى أنبيائها في حوائجهم ، حتى تسأل الأنبياء لهم ذلك .

قال كعب الأحبار : أعطيت هذه الأمة ثلاثة لم تعطهن أمة قبلها إلا نبي ، كان إذا أرسل الله نبياً . قال له : أنت شاهد على أمتك وجعلكم شهداء على الناس : ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ وكان يقال له : ليس

عليك في الدين من حرج ، وقال لهذه الأمة : ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ وكان يقال : ادعني أستجب لك وقال لهذه الأمة : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **إنه من لم يسأل الله يغضب عليه** » رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه والألباني وورى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال : « **لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد** » رواه ابن حبان والحاكم وصححه الذهبي ا ، وفي الحديث « **إن الله حيّي كريم يستحي إذا رفع الرجل يديه أن يردهما صفراً خائبتين** » رواه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء فإن العبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله ، أن الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء ، فيكون منزلة القوس الرخو جداً ، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً ، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليه ، كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه** » .

فهذا داواء نافع مزيل للداء ، ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته ، وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها ، كما في صحيح مسلم

من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ﴾ وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾** » **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك** .

وذكر عن عبد الله بن أحمد في كتاب الزهد لأبيه « أصاب بني إسرائيل بلاء فخرجوا مخرجاً فأوحى الله عزوجل إلى نبيهم أن أخبرهم : « أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة وترفعون إلي أكفاً قد سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن حين اشتد غضبي عليكم لن تزدادوا مني إلا بعداً » .

وقال أبو ذر : يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح ، والدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء ، يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن ، كما روى الحاكم في مستدركه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الدعاء سلاح المؤمن ،وعماد الدين ونور السموات والأرض** » وله مع البلاء ثلاث مقامات :

أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثاني : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً .

الثالث : أنهما يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه . والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان

السلاح تاماً لا آفة به والساعد ساعداً قوياً والمانع مفقوداً حصلت به النكاية في العدو ، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير ، فإن كان في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر ، وكما نستدفع قدر الجوع بقدر الأكل وقدر العطش بقدر الشرب فكذلك نستدفع قدر البلاء بقدر الدعاء ، فكلاهما من قدر الله تعالى .

قال سهل بن عبد الله التستري : شروط الدعاء سبعة : أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال .

وقال ابن عطاء : إن للدعاء أركاناً وأجنحة وأسباباً وأوقاتاً فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه نجح ، فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع وأجنحته الصدق ، ومواقيته الأسحار ، وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ .

وقيل شرائطه أربع - أولها حفظ القلب عند الوحدة ، وحفظ اللسان مع الخلق ، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يحل ، وحفظ البطن من الحرام .

وقيل لإبراهيم بن أدهم : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال : لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته ، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به ، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ، وعرفتم النار فلم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس » .

وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة ، وذلك كليلة القدر ويوم عرفة وشهر رمضان وليلة الجمعة وساعة الجمعة وجوف الليل ونصفه الثاني ووقت السحر عند النداء بالصلاة وبين الأذان والإقامة وعند الإقامة وعند التحام الحرب ودبر الصلوات المكتوبات وعند السجود وعند تلاوة القرآن لا سيما الختم وعند قول الإمام ولا الضالين وعند شرب ماء زمزم وعند صياح الديكة وعند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر وعند نزول المطر وعند حضور الميت وتغميضه ، وكل هذا جاءت به الآثار .

وفي الحديث « **لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ،ليعزم المسألة فإنه لا مكره له** » متفق عليه .

وعليه أن يلح في الدعاء ، ويكرره ثلاثاً ، ولا يعجل ولا يقول دعوت ولم يستجب لي ، ويفتتح بحمد الله تعالى والثناء عليه بأسمائه وصفاته ، ثم يصلي على نبيه ﷺ ، ويدعو على وضوء مستقبلاً القبلة ، ويرفع يديه ولا يدعو بإثم ولا بقطيعة رحم وليعظم الرغبة في ربه عز وجل لقوله ﷺ : « **إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شئ** » رواه مسلم .

قال سفيان بن عيينة : لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق ، إبليس لعنه الله إذ قال : ﴿ **رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين** ﴾ .

فاللهم حرم وجوهنا على النار .

الدرس الثاني والعشرون

تعميق روابط الأخوة :

الأخوة الدينية والرابطة الإيمانية مصلحة كلية ، والاجتماع والإجماع أصل من أصول هذه الشريعة يقول تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ .

ولذلك وجب على المسلمين أن يسعوا في تحقيق هذه الأخوة أتم تحقيق ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ .

وهذا السعي لتوحيد الصف وجمع الكلمة هو من أفضل الأعمال بل كان هذا من أعظم الدروس التي خرج بها المسلمون يوم بدر .

قال تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾ [الأنفال : ١]

وقال تعالى : ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس** ﴾ [النساء : ١١٤] .

وقال تعالى : ﴿ **والصلح خير** ﴾ [النساء : ١٢٨]

وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً » متفق عليه .

بل هذا الاجتماع من أعظم أسباب النصر قال تعالى : ﴿ **هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين** ﴾ .

فالواجب علينا الارتباط ، إذ تحقيقه من مقتضيات الإيمان ، وكلما قوي إيمان العبد عرف مقدار نفع هذا الأمر ، فإن اجتماع المسلمين وتألف قولبهم وحصول التحاب بينهم يوجب لكل منهم أن يرى مصلحته ومصلحة إخوانه واحدة والغاية واحدة .

ولذلك ورد التحذير من التفرق والاختلاف والتنازع لأنها من أعظم أسباب الفشل .

قال تعالى : ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾ والأخذ بأسباب الوحدة الحقيقية يستوجب منا النظر بعين الاعتبار لعدة معان ، لأن الشعارات والهتافات وارتفاع الأصوات بالوحدة والاتحاد لا تكفي لتحقيقها .

ومن أعظم هذه الأسباب ، البصيرة ، وهي تستلزم العلم والعمل والدعوة والصبر على ذلك ، ولأن الإنسان عدو ما يجهل وما يعصي الله بمعصية أعظم من الجهل بالدين .

والعبد قد يكون معول هدم في جسم هذه الوحدة وهو لا يدري ، وما يفسد أكثر مما يصلح إذا حهل دين الله تعالى .

﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ [الزخرف : ٦٧] ،

وأساس التقوى أن ييتعلم ما يتقي ثم يتقي ، وإلا فإذا كان لا يحسن التقوى ، لربما استل سيفه وضرب به رقاب المسلمين ، وظن أنه يحسن الصنع ، كحالة الخوارج .

فلا أخوة بدون إيمان ولا صداقةبدون تقوى .

قال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [الحجرات : ١٠] .

وقد روى الشيخان حديث « **الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف** » .

والناس يخطئون ويصيبون ، فهم بشر وليسوا ملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، وبالتالي فلا بد من احتمال الهفوات والزلات .

﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** ﴾ .

﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شئ قط فينتقم من صاحبه إلا أن تنتهك شئ من محارم الله تعالى فنتقم لله تعالى** » رواه مسلم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « **كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول :« اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال : « يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال : « **لئن كنت كما قلت فكأنما يسفهم المل** » (أي التراب الحار) .

« **ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك** » رواه مسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **إن الله رفيق يحب**

الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على سواه » رواه مسلم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل** » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : « بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه فقال النبي ﷺ : « **دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين** » رواه البخاري .

ومن حقوق هذه الأخوة المواساة بالمال ، وأن يكون كل منهم عوناً لصاحبه ، يقضي حاجته ويقدمها على نفسه ويتفقد أحواله ويعفو عن زلاته ويعذره فيما عذره فيه رب العزة جل وعلا كالخطأ والنسيان وما استكره عليه وعليه أن يعطيه من لسانه ما يحبه منه فيدعوه بأحب أسمائه إليه ويذكره بالخير في الغيبة والحضور ، ويفي له في الأخوة فيثبت عليها ويدوم عهدها ويدعو له ولأولاده .

وفي الحديث : « **إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك : ولك مثل ذلك** » رواه مسلم .

ومن أظهر الوسائل في تعميق روح الأخوة أنه إذا أحب أخاه أخبره بذلك ، وإذا فارقه طلب منه الدعاء ، وإذا لقيه ابتسم في وجهه وبادر إلى مصافحته ، يحرص على الإكثار من زيارة إخوانه ، وإدخال السرور عليهم وتهنئتهم ، ويتأكد ذلك في المناسبات ، بل وتقديم الهدايا فإنها تورث المودة وتذهب الضغائن .

وينبغي أن يعلم أن الحق في مقابله واجب لا بد من تأديته ، وفي

الحديث : « **حق المسلم على ست إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه** » رواه مسلم . وكان بعض الصالحين يقول أين مثل الأخ الصالح ؟ إن أهل الرجل إذا مات يقسمون ميراثه ويتمتعون بما خلف ، والأخ الصالح ينفرد بالحزن مهتماً بما قدم عليه وما صار إليه ، يدعو له في ظلمة الليل ويستغفر له وهو تحت أطباق الثرى .

قال ابن شبرمة : « إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى ، وكان على مسروق دين وكان على خيثمة دين أيضاً فذهب مسروق وقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ، وسأل علي بن الحسين رجلاً : هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه (أي جيبه) أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه ؟ قال : لا ، قال : فلستم بإخواني ، وهكذا يكون الحال عندما تتوثق أواصر الأخوة والمحبة ومن أعظم أسباب الوحدة أيضاً ، وحدة المنهج ولا أصح وأكمل مما كان عليه سلف الأمة ، وكل خير في اتباع من سلف ، وكل شر في ابتداع من خلف ، وما لم يكن يومئذ ديناً فليس باليوم ديناً ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

فإذا أردنا العز والتمكين والسعادة والنصر والنجاة والفوز فعلينا بالرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، فهذا هو المنهج المنضبط لفهم الإسلام والعمل به ، قرأ ابن عباس قوله تعالى : ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** ﴾ فقال : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والافتراق ، ولا يمكن أن تجتمع كلمة

الأمة على مثل هذه البدع التي خرج بها أشباه الصوفية والخوارج والشيعة قال تعالى : ﴿ **ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة** ﴾ . فاعتبروا يا أولي الألباب ، ولا خير في أخوة الأحمق وسيء الخلق والمبتدع .

وعلينا أن نعلم أن العمل بطاعة الله تعالى والتباعد عن كل ما يغضبه سبحانه هو من أعظم أسباب الوحدة والاتحاد ، ودلائل ذلك كثيرة في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ ، ولا بد من تضييق دائرة الخلاف ، ويسعنا ما وسع سلف الأمة ولا وسع الله على كل من لا يسعه ما وسعهم ، إذ الخلاف شر كله ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ، وينبغي أن نفرق بين الخلاف السائغ المعتبر الذي لا يفسد للود قضية ، كخلاف الفقهاء في مسائل قصر الصلاة مثلاً وبين الخلاف مع الصوفية أو الشيعة .

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : « نعم من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة خلافاً لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع » ويبين أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتناظرون في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والأخوة الإيمانية ، ولا بد من الحذر من وساوس شياطين الإنس والجن وذلك لأن الشيطان يئس أن يعبد في الأرض ولم ييأس من التحريش بين المصلين ﴿ **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم** ﴾ والشيطان لا ينام ، وكذلك أولياؤه يعملون ليل نهار من أجل تفريق المسلمين وإضعاف كلمتهم ، ويستخدمون في ذلك سياستهم فرق تسد .

فعلينا أن نحذر الفلسفات والنظريات الكفرية ، ونتباعد عن

وسائل الدس الفاجرة والماكرة ، وننتهز فرصة هذا الشهر الكريم وقد صفدت الشياطين فنكثر من الدعاء والتضرع عسى أن يؤلف ربنا بين قلوبنا ويوحد كلمتنا ويجعل بأسناعلي عدوه وعدونا .

الدرس : الثالث والعشرون

قيام رمضان أو صلاة التراويح

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة » ثم يقول : « **من قام رمضان إيمان واحتساباً غفرله ما تقدم من ذنبه** » فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك

ثم كان الأمر علي ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وصدر من خلافة عمر رضي الله عنه . إخرجه مسلم وغيره .

وعن عمرو ابن مرة الجهني قال : جاء رسول الله ﷺ رجل من قضاعة فقال يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وصمت الشهر وقمت رمضان وآتيت الزكاه ؟ فقال النبي ﷺ : « **من مات علي هذا كان من الصديقين والشهداء** » أخرجه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهمابسند صحيح .

قال الحافظ في الفتح ، التراويح جمع ترويحة ، وهي المرة الواحدة من الراحة كتسليمة من السلام .

سميت الصلاة في الجماعة في ليالي رمضان التراويح لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين .

مشروعية الجماعة في القيام :

تشرع الجماعة في قيام رمضان بل هي أفضل من الانفراد لإقامة النبي ﷺ لها بنفسه ، وبيانه لفضلها كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : « صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان ، فلم يقم بنا شيئاً من الشهر حتى بقي سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل فلما كانت السادسة لم يقم

بنا فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل فقلت يا رسول الله لو نفلتنا قيان هذه الليلة فقال : « **إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة** » فلما كانت الرابعة لم يقم فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح ، قال : قلت : ما الفلاح ؟ قال : السحور . « **ثم لم يقم بنا بقية الشهر** » أخرجه أصحاب السنن وغيرهم وهو صحيح .

وقد امتنع النبي ﷺ من الاستمرار بالجماعة فيه خشية أن تفرض عليهم صلاة التراويح ، فعن عائشة قالت : صلى النبي ﷺ في المسجد فصلى بصلاته ناس كثير ثم صلى من القابلة فكثروا ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج إليهم فلما أصبح قال : « قد رأيت صنيعكم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم » وذلك في رمضان .

مشروعية الجماعة للنساء :

قيام رمضان أو صلاة التراويح سنة للرجال والنساء ، تؤدى بعد صلاة العشاء ، وقد دل على ذلك حديث أبي ذر وغيره .

ويجوز للنساء حضور التراويح في المساجد إذا أمنت الفتنة منهن وبهن لقول النبي ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » ولأن هذا من عمل السلف الصالح رضي الله عنهم .

لكن يجب أن تأتي متسترة متحجبة غير متبرجة ولا متطيبة ولا رافعة صوتاً ولا مبدية زينة لقوله تعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ أي لكن ما ظهر منها فلا يمكن إخفاؤه وهي الجلباب والعباءة ونحوها .

ولأن النبي ﷺ لما أمر بالخروج إلى الصلاة يوم العيد قالت أم عطية : يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال : « **لتلبسها أختها من جلبابها** » متفق عليه .

والسنة للنساء أن يتأخرن عن الرجال ويبعدن عنهم ، يبدأن بالصف المؤخر فالمؤخر عكس الرجال لقول النبي ﷺ : « **خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها** » رواه مسلم

وينصرفن من المسجد فور تسليم الإمام ، ولا يتأخرن إلا لعذر لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ، وهو يمكث في مقامه يسيراً قبل أن يقوم قالت : نرى والله أعلم أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال» رواه البخاري .

ويجوز أن يجعل لهن إمام خاص بهن غير إمام الرجال فقد ثبت أن عمر رضي الله عنه لما جمع الناس على القيام ، جعل على الرجال أبي بن كعب وعلى النساء سليمان بن أبي خثمة .

فعن عرفجة الثقفي : « كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً ، قال : فكنت أنا إمام النساء » أخرجه البيهقي .

وهذا محله إذا كان المسجد واسعاً لئلا يشوش أحدهما على الآخر

عدد ركعات القيام

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما كان رسول الله ﷺ يزيد في

رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن ولا طولهن ، ثم يصلي ثلاثاً » أخرجه الشيخان .

ولما سئلت رضي الله عنها : بكم كان رسول الله ﷺ يوتر ؟ قالت : كان يوتر بأربع وثلاث وست وعشر وثلاث ولم يكن يوتر بأنقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة » رواه أبو داود وأحمد وقال الألباني جيد الإسناد .

قال رسول الله ﷺ : « **الوتر حق فمن شاء فليوتر بثلاث ومن شاء فليوتر بخمس ومن شاء فليوتر بواحدة** » رواه الطحاوي والحاكم وصححه الألباني .

واختلف السلف الصالح في عدد الركعات في صلاة التراويح والوتر معها فقيل : إحديوأربعون ركعة قيل : تسع وثلاثون وقيل : تسع وعشرون وقيل : تسع عشرة وقيل : ثلاث عشرة وقيل : إحدى عشرة وقيل : غير ذلك .

وأرجح الأقوال أنها إحدى عشرة أو ثلاث عشرة لما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وفي الموطأ عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال : أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة .

والخلاف في هذه المسألة سائغ معتبر لا إنكار فيه ، وقد اعتبرها جمهور العلماء من جملة النوافل المطلقة .

قال الحافظ في الفتح : « والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الأحوال ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها

فحيث يطيل القراءة تقل الركعات والعكس وبذلك جزم الداودي وغيره . اهـ .

والراجح ما قدمناه .

وقد كان السلف الصالح يطيلونها جداً .

فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال : كان القارئ يقرأ بالمئتين (يعني بمئات الآيات) حتى كنا نعتمد على العصى من طول القيام .

وهذا خلاف ما هو عليه كثير من الناس اليوم حيث يصلون التراويح بسرعة عظيمة لا يأتون فيها بواجب الهدوء والطمأنينة التي هي ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونها ، فيخلون بهذا الركن ويتعبون من خلفهم من الضعفاء والمرضى وكبار السن .

وقد ذكر العلماء أنه يكره للإمام أن يسرع سرعة تمنع المأمومين فعل ما يسن فكيف بسرعة تمنعهم فعل ما يجب .

ولا ينبغي للرجل أن يتخلف عن صلاة التراويح لينال ثوبها وأجرها ، ولا ينصرف حتى ينتهي الإمام منها ومن الوتر ، ليحصل له الأجر قيام الليل كله .

وإذا دار الأمر بين الصلاة أول الليل مع الجماعة وبين الصلاة آخر الليل منفرداً ، فالصلاة مع الجماعة أفضل لأنه يحسب له قيام ليلة تامة ، وعلى ذلك جرى عمل الصحابة في عهد عمر رضي الله عنه ، فقال عبد الرحمن بن عبد القاري : « خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال : والله إني لأرى لو جمعت

هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب قال : ثم خرجت ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم . فقال عمر : « نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل ، وكان الناس يقومون أوله » رواه البخاري وغيره .

والبدعة هنا بمعناها اللغوي وإلا فقد صلى النبي ﷺ صلاة التراويح لبضع ليال ثم امتنع خشية أن تفرض عليهم .

وبموت الرسول ﷺ وانقطاع الوحي لم يعد هناك إمكانية ذلك ،

ولذلك جمعهم عمر رضي الله عنه وقد قال النبي ﷺ : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي** » .

الكيفيات التي تصلى بها صلاة الليل :

١- تفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين وهما على الأصح سنة العشاء البعدية ، أو ركعتان مخصوصتان يفتتح بها صلاة الليل ويصلي ١٣ ركعة فيبدأ بركعتين خفيفتين ثم يصلي ركعتين طويلتين جداً ثم يصلي ركعتين دونها وهكذا حتى يوتر بركعة .

٢- يصلي ١٣ ركعة منها ثمانية يسلم بين كل ركعتين ثم يوتر بخمس لا يجلس ولا يسلم إلا في الخامسة .

٣- ١١ ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر .

٤- ١١ ركعة يصلي أربعاً بتسليمة واحدة ثم أربعاً كذلك ثم ثلاثاً .

٥- يصلي ١١ ركعة منها ثماني ركعات لا يقعد فيها إلا في الثامنة يتشهد

ويصلي على النبي ﷺ ثم يقوم ولا يسلم ثم يوتر بركعة ثم يسلم ثم يصلي ركعتين وهو جالس .

٦ - يصلي تسع ركعات منها ست لا يقعد إلا في السادسة منها ثم يتشهد ويصلي على النبي ثم يصنع ما صنعهخ في الكيفيات السابقة .

وجائز للمرأ أن يصلي أي عدد أحب من الصلاة مما روي عن النبي ﷺ أنه صلاهن وعلى الصيغة التي رويت عن النبي ﷺ أنه صلاها لا حظر على أحد في شئ منه .

وأفضل هذه الصفات هي الصفة الثالثة .

ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل ومن أحب أن يوتر بثلاث ركعات لم يسلم إلا في آخرهن فلا بأس والأولى أن يصلي ركعتين ويسلم ثم يصلي الثالثة .

ومن السنة أن يقرأ في الركعة الأولى من ثلاث الوتر ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ وفي الثانية ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ وفي الثالثة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ويضيف إليها أحياناً ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ .

وقد صح عنه ﷺ أنه قرأ مرة في ركعة الوتر بمئة آية من النساء ، ومن صلى الوتر ثم بدا له أن يصلي جاز ولا يعيد الوتر أو أن يشفع الوتر الأول لحديث : « **لا وتران في ليلة** » رواه أحمد والترمذي وحسنه وعن عائشة أن النبي ﷺ « **كان يسلم تسليماً يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد** » رواه مسلم .

ويجوز القنوت قبل الركوع بعد الفراغ من القراءة ، ويجوز كذلك

بعد الرفع من الركوع ، ويدعو بالدعاء الذي علمه النبي ﷺ سبطه الحسن ، ولا بأس من الزيادة عليه بلعن الكفرة والصلاة على النبي ﷺ والدعاء للمسلمين في النصف الثاني من رمضان لثبوت ذلك عن الأئمة في عهد عمر رضي الله عنه .

ومن السنة أن يقول في آخر وتره قبل السلام أو بعده « **اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك** » .

وإذا سلم قال : سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس ثلاثاً ويمد بها صوته ، ويرفع في الثالثة .

وبعد عباد الله : فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال « **أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل** » رواه مسلم .

وقال : « **أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام** » رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

فلا تفوتن حظك ونصيبك من الأجر والثواب .

وتذكر قول ربك في رمضان وغيره ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾ .

وقوله سبحانه : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءاً بما كانوا يعملون** ﴾ .

فاللهم وفقنا بتوفيقك وعاملنا بلطفك وإحسانك إذ الفضل منك وإليك والخير كله بيديك .

الدرس الرابع والعشرون :

ما ملأ آدمي وعاءاً شراً من بطن ، والصيام جنة :

يقول رسول الله ﷺ : « **ما ملأ آدمي وعاءاً شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وإسناده صحيح .

وقد بين الإمام ابن القيم في كتابه « زاد المعاد » أن الأمراض نوعان : أمراض مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية وهي : الأمراض الأكثرية وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول ، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن ، وتناول الأغذية القلية النفع البطيئة الهضم والإكثار من الأغذية المختلفة المتنوعة ، فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك أودثته أمراضاً متنوعة ، منها بطئ الزوال وسريعه ، فإذا توسط في الغذاء وتناول منه قدر الحاجة وكان معتدلاً في كميته وكيفيته كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير ، ومراتب الغذاء ثلاثة :

الأولى : مرتبة الحاجة

الثانية : مرتبة الكفاية .

والثالثة : مرتبة الفضلة .

فأخبر النبي ﷺ أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه فلا نسقط قوته ولا تضعف معها .

فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه ويدع الثلث الآخر للماء والثالث للنفس ، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب ، فإن البطن إذا امتلأت من

الطعام ضاق عن الشراب فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس وعرض له الكرب والتعب بحمله ، بمنزلة حامل الحمل الثقيل هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب وكسل الجوارح عن الطاعات وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع .

فامتلاء البطن من الطعام مضر للقلب والبدن ، هذا إذا كان دائماً أو أكثرياً .

وأما إذا كان في بعض الأحيان فلا بأس به ، فقد شرب أبو هريرة بحضرة النبي ﷺ من اللبن حتى قال : « والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً » رواه البخاري .

وأكل الصحابة بحضرته ﷺ مراراً حتى شبعوا .

والشبع المفرط يضعف القوى والبدن ، وإن أخصبه .

وإنما يقوى البدن بحسب ما يقبل من الغذاء لا بحسب كثرته .

ولما كان في الإنسان جزء أرضي وجزء مائي قسم النبي ﷺ طعامه وشرابه ونفسه على الأجزاء الثلاثة .

وعند ابن السني وأبي نعيم أن النبي ﷺ قال : « **صوموا تصحوا** » وضعفه الألباني إلا أن معناه صحيح . ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **والصيام جنة** » أي وقاية من أدواء الروح والقلب والبدن .

فمنافعه تفوت الإحصاء وله أثر عجيب في حفظ الصحة وإذابة الفضلات وحبس النفس عن تناول مؤذياتها ، ولا سيما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعاً وحاجة البدن إيه طبعاً ، ثم إن في إراحة

القوى والأعضاء ما يحفظ عليها قواها ، وفيه خاصية تقتضي إيثاره وهي تفريحه للقلب عاجلاً وآجلاً ، وهو أنفع شئ لأصحاب الأمزجة الباردة والرطبة ، وله تأثير عظيم في حفظ صحتهم ، وهو يدخل في الأدوية الروحانية والطبيعية .

وإذا راعى الصائم فيه ما ينبغي مراعاته طبعاً وشرعاً عظم انتفاع قلبه وبدنه وحبس عنه المواد الغريبة الفاسدة التي هو مستعد لها وأزال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه ، ويحفظ الصائم مما ينبغي أن يتحفظ منه ويعينه على قيامه بمقصود الصوم وسره وعلته والغائية ، فإن القصد منه أمر آخر وراء ترك الطعام والشراب .

وباعتبار ذلك الأمر اختص من بين الأعمال بأنه لله سبحانه .

ولما كان وقاية وجنة بين العبد وبين ما يؤذي قلبه وبدنه عاجلاً وآجلاً قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ .

فأحد مقصودي الصيام الجنة والوقاية ، وهي حمية عظيمة النفع والمقصود الآخر : اجتماع القلب والهم على الله تعالى ، وتوفير قوى النفس على محابه وطاعته .

وقد أمر النبي ﷺ من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة عليه ، بالصيام وجعله وجاء هذه الشهوة فقال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »

والباءة كناية عن النكاح ، والوجاء الخصاء ، والمراد أنه يقطع شهوة الجماع .

وبالجملة فالصوم له تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة فهو يحفظ على القلب والجوارح صحتها ويعيد لها ما أستلبته منها أيدي الشهوات وهو من أكبر العون على التقوى .

وقد كان بعض العلماء يقول : « إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

وإذا كان الصوم مشروعاً بالنسبة للصحيح السليم فإن الفطر مشروع أيضاً للمريض وهذه رخصة من الله تعالى لعباده . وخصوصاً إذا كان مريضاً مرضاً مزمناً ويخشى ازدياد حدة المرض ، أو التأخر الشفاء بالصوم وهذا تمام الأمر وكماله في كلتا الحالتين ، وذلك لأنه تشريع العليم الحكيم ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ .

وهذا الذي ذكرناه يدخل ضمن الإعجاز العلمي التشريعي للقرآن الكريم .

فبينما كان تأييدالله لرسله السابقين بآيات كونية تبهر الأبصار ولا سبيل للعقل في معارضتها كمعجزة اليد والعصا لموسى ، وربراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله لعيسى ، كانت معجزة الرسول ﷺ هي القرآن الكريم بعلومه ومعارفه وأخباره الماضية والمستقبلة ، والقرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ من معنى فهو معجز في ألفاظه وأسلوبه ، وهو معجز بعلومه ومعارفه ، كما أنه معجز في تشريعه وأحكامه .

وقد وقع التحدي للإنس والجن علي أن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن فما استطاعوا ، وعجزوا عن معارضته مع طول باع العرب في الفصاحة والبلاغة قال تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ وقال

سبحانه : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله** ﴾وأن لا إله إلا هو .

ثم تحداهم بسورة واحدة في قوله : ﴿ **أم يقولون افتراه ،قل فأتوا بسورة مثله** ﴾ وكرر التحدي في قوله : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾ .

ومعجزات رسول الله ﷺ كثيرة ،إلا أن القرآن الكريم هو أعظم هذه المعجزات ، ويخطئ كثير من الناس حين يحرصون على أن يتضمن القرآن كل نظرية علمية .

وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملاً في آية يتأولونها بما يوافق هذه النظرية ، بل الحقائق التي تعرف في العلم باسم « الحقائق الملحوظة » ليست بحقائق شوهدت فعلاً وإنما هي تفسيرات لبعض المشاهدات لأن المشاهدة الإنسانية لا يمكن أن توصف بأنها كاملة ولذا فإن جميع هذه التفسيرات تعد إضافية ، ومن الممكن أن تتغير بتطور الملاحظة

ويقول البرفسور سوليفان ، بعد نقد وجهه إلى النظريات العلمية (هذا الغرض للنظريات العلمية يثبت أن معنى نظرية علمية صحيحة أنها فروض علمية ناجحة ، ومن الممكن تماماً أن يكون سائر النظريات العلمية باطلاً ذلك أن النظريات التي نعتبرها اليوم (حقيقة) ليست إلا قياساً على وسائلنا المحدودة للملاحظة) ، (ولا تزال قضية الحقيقة في عالم العلم قضية علمية نفعية) .

وكما رفض العلماء نظرية الضوء التي قدمها نيوتن لأنها لم تنجح في نفسير مظاهر حديثة للضوء ، فإننا نرفض أفكار الفلاسفة الملحدين لأنها فشلت في تفسير مظاهر الطبيعة ، بعكس تفسير الدين لها فإنه لم يتغير ولن يتغير مر الدهور ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ .

﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء** ﴾ .

﴿ **وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فب كتاب مبين** ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثمن من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً** ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون** ﴾ .

﴿ **إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به** ﴾ .

ويقول سبحانه ﴿ **أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه** ﴾ .

﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى** ﴾ .

﴿ **والشمس تجري لمستقر لها** ﴾

﴿ **ثم استوى إلى السماء وهي دخان** ﴾

﴿ أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ﴾ .

وهذه الآيات وغيرها كثير تضمنت إشارات علمية سيقت مساق الهداية .

ومعلوم أن القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية وهذا لا يمنع من اشتماله على كثير من صور الإعجاز العملي والتي تعقد والمؤتمرات بشأنها هنا وهناك .

فأي مسألة من مسائل العلم أو قاعدة من قواعده يثبت رسوخها تكون محققة لما حث عليه القرآن من تفكير سليم ، ولا تتعارض معه بحال من الأحوال .

وقد تقدمت العلوم وكثرت مسائلها ولم يتعارض شئ ثابت منها مع آية من آيات القرآن وهذا وحده إعجاز .

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .

الدرس الخامس والعشرون :

تردد الفكر بين الخوف والرجاء :

فأنت لا تدري هل قبل منك صيامك وصلاتك وقيامك وسائر طاعاتك أم أنها ردت عليك لفقدانها شرطاً من شروط القبول كالإخلاص أو الاتباع .

وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : لو اعلم أن الله تقبل مني سجدة لكان فرحي بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب، وذلك لقوله تعالى : ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ ثم طاعاتنا التي نعملها في كثير من الأحيان لو قدمت لزبّال لما قبلها ، فكيف بالمعاصي التي لا ننفك عنها بسبب إسرافنا في أمرنا وغفلتنا عن دين ربنا .

ولو أخذنا حجراً مع كل ذنب نعمله وقذفنا به في المنزل لامتلأ المنزل بالحجرة بعد أيام معدودات فكيف نطغى ونتكبر لطاعة عملناها وهل يصيبنا بعدها الغرور والعجب والكبر ، وهل نطمئن ونأمن على أنفسنا وكأننا بشرنا بالجنة .

ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على نهجهم واتبع هديهم ، وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف من الله ونحن جمعنا بين التقصير والأمن ، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يقول لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن .

ولما قرأ عمر بن الخطاب يوماً سورة الطور حتى بلغ ﴿ **إن عذاب ربك لواقع** ﴾ [الطور : ٧] بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه وقال لابنه وهويموت : ويحك ضع خدي على الأرض عساه يرحمني ثم قال : ويلي وويل أمي إن لم يغفر لي ثلاثاً ثم قضى ، وكان في وجهه خطان

أسودان من كثرة البكاء وقال له ابن عباس : إن الله مصر بك الأمصار وفتح بك الفتوح وفعل ، فقال : وددت أني أنحو لا أجر ولا وزر .

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته ويقول : لو أنني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما أصير لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير .

وسلم (علي) رضي الله عنه من صلاة الفجر يوماً وقد علاه كآبة وهو يقلب يده ويقول : لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فلم أر اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزي قد باتوا سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكروا الله تمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله فكأني بالقوم باتوا غافلين ، فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم الخارجي .

فهؤلاء الأفاضل كل منهم قد بشر بالجنة وبالرغم من هذا فهذا هو خوفهم من عذاب الله ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما أسفل عينيه مثل الشراك البالي من كثرة البكاء .

وروي أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس الفجر بسورة المدثر فلما قرأ : ﴿ **فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير** ﴾ (٩) أخذته شهقة فمات .

ومن خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب إليه ، وليس االخائف الذي يبكي ثم يمسح دموعه ولكن لخائف من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه .

وكان الفضيل يقول : إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فإنك إن

قلت : لا ، كفرت وإن قلت : نعم كذبت . فالخوف المحمود هو الذي يدفع العبد لكل خير ويزجره عن كل شر ، والإفراط في الخوف هو الذي يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط ﴿ **إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ .

والخوف القاصر هو الذي يستدفع العبد للتفريط في الطاعات ومواقعة المحرمات ، وبحسب معرفة العبد بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى تكون قوة خوفه ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « **والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية** » متفق عليه .

ولما قيل للإمام الشعبي يا عالم قال : إنما العالم من يخشى الله .

فقال سبحانه : ﴿ **هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون** ﴾ [الأعراف : ١٥٤] وقال عز وجل : ﴿ **رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه** ﴾ [البينة : ٨] وجعل سبحانه الخوف شرطاً في الإيمان فقال :﴿ **وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾ [آل عمران : ١٥٧] .

من خاف الله خافه كل شئ ، ومن لم يخف الله كان أهون على الله من الجعلان ، وضاع في الدنيا والآخرة ، وقد كانوا يظنون الزندقة والإخلال بمن أفطر عمداً في رمضان دون عذر شرعي وهو شر من الزاني وشارب الخمر كما يقول الإمام الذهبي .

وذلك لأن هذا الفعل يدل على قلة الخوف من الله تعالى .

﴿ **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون** ﴾ [المؤمنون : ٥٧-٦١] .

روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت : أهم الذين يشربون الخمر وزنون ويسرقون فقال : « **لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون ألا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات** » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

والأخبار في الخوف كثيرة فتذكر دائماً قول ربك : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق** ﴾ . [هود : ١٠٢ - ١٠٦] .

فعلى العبد أن يغلب جانب الخوف في الدنيا ، أما عند الموت فعليه أن يغلب جانب الرجاء .

والنفس لا تستقيم ولا تعتدل إلا بخوف ورجاء فهما جناحان يطير بهما المقربون إلي كل مقام محمود .

فلا بد من رغبة ورهبة وبذلك أثنى الله تعالى على الأنبياء والمرسلين فقال :

﴿ **وكانوا يدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين** ﴾ .

﴿ **يرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ .

ومن ظن أن الله يعذب أولياءه أو يخذلهم فقد ظن بربه ظن السوء

وتشبه بأهل الجاهلية ﴿ **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** ﴾ .

والمؤمن حين يسأل ربه الجنة يسعى لها سعيها اللائق بها ويرجو بذلك رحمة ربه ، أما إذا كانت الأسباب غير موجودة فاسم الغرور والحمق عليه أصدق .

وكان البعض يقول : رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق ، وقد ارتكن البعض إلى سعة العفو والرحمة ونسوا أن عذابه هو العذاب الأليم ، فكما أنه غافر الذنب وقابل التوبة فهو جل وعلا شديد العقاب ذو الطول .

ولذلك كان الحسن يقول ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قوماً غرتهم أماني المغفرة وذهبوا ولا حسنة لهم . وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

وكان يقول أيضاً : « ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ فالأماني شئ والرجاء شئ آخر .

قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله** ﴾ [البقرة : ١٢٨] .

وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » رواه مسلم .

ومن الأخبار التي تطمع العبد في سعة رحمة الله تعالى : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر**

الذنوب جميعاً إنه هو الغفورالرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

أيضاً قوله تعالى : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شئ** ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : **قال الله تعالى :« يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ،يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ،يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة** » رواه الترمذي وحسنه الألباني .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأبقى في الأرض جزءاً فمنه يتراحم الخلق حتى أن الدابة لا تدوس ولدها خشية أن تصيبه** » متفق عليه .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فكاكك من النار** » رواه مسلم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « **قدم رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألزقته فأرضعته فقال رسول الله ﷺ « أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار » قلنا : لا والله فقال : « الله أرحم بعباده من هذه بولدها** » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر الله لهم** » رواه مسلم .

الدرس السادس والعشرون :

﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾

في هذه الليلة المباركة التي هي ليلة القدر يكثر تنزل الملائكة لكثرة بركتها ، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ، ويحيطون بحلق الذكر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له : وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام ، وقيل هم صرب من الملائكة لهم شأن عظيم وأنهم أشرف الملائكة وأقربهم من الله تعالى . وقيل غير ذلك . وهم يتنزلون ليلة القدر بإذن ربهم بكل أمر قدره الله وقضاه في تلك السنة إلى قابل كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، والإيمان بالملائكة أصل عظيم من أصول دعوة التوحيد ، ولا يصدق العبد في إيمانه بالله حتى يؤمن بعالم الملائكة الأبرار .

والملائكة عباد مكرمون ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ وهم أيضاً .

﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ خلقهم الله تعالى من نور قبل خلق آدم أبي البشر .

ولهم خلقة عظيمة .

فقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام في صورته وله ستمائة جناح كل منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل من الذر واليواقيب .

كما رآه منهبطاً من السماء ساداً ماعظم خلقه بين السماء والأرض ،

وروى أبو دواد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **أذن لي أن أحدث عن أحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام** » رواه أبو داود وصححه الألباني .

وللملائكة أجنحة ، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة أو أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك ، وقد خلقهم الله على صور جميلة كريمة ، ولا يوصفون بالذكورة والأنوثة وهم لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يملون ولا يتعبون ، وعددهم كثير فلا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم .

يقول النبي ﷺ في البيت المعمور الذي في السماء السابعة : « **وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم** » رواه البخاري ومسلم .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك** » وكل إنسان على حدة له موكل بنطفته ، وملكان لكتابة الأعمال وملائكة لحفظه ، وقرين ملكي لهدايته وإرشاده .

والملائكة لهم المقدرة على التشكل : وقد كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي أحياناً .

ولهم أسماء ولكن الذين نعرف أسماءهم ، جبريل وهو الروح الأمين وهو أيضاً ملك الوحي وهو أعظم ملائكة الله .

ومن الملائكة أيضاً ميكائيل الموكل بالقطر والنبات ، وإسرافيل الذي ينفخ في الصور ، ومالك خازن النار ، ورضوان خازن الجنة ، ومنكر ونكير الموكلان بسؤال العبد في قبره ، وهاروت وماروت المذكوران في

قوله تعالى : ﴿ **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فيتنة فلا تكفر** ﴾ .

ولا يصح تسمية ملك الموت باسم عزرائيل .

والملائكة يموتون كما يموت الإنسان والجن لقوله تعالى :

﴿ **كل شئ هالك إلا وجهه** ﴾ .

وهم كرام بررة فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران** » أخرجه الجماعة .

والملائكة عندهم حياء ، فقد قال النبي ﷺ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : « **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة** » ؟ رواه مسلم

ولهم سرعات خيالية فقد كان السائل يأتي إلى الرسول ﷺ فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من رب العزة جل وعلا وعلمهم أكثر مما يعرفه الإنسان .

ومن العلم الذي أعطوه علم الكتابة ﴿ **وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون** ﴾ .

وهم بالإضافة لذلك منظمون في كل شئونهم .

وقد حثنا الرسول ﷺ على الاقتداء بهم في ذلك فقال :

« **ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها** » ؟ قالوا : وكيف يصفون عند ربهم ؟ قال : « **يكملون الصف الأول فالأول يتراصون في الصف** » رواه الجماعة إلا البخاري .

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « **آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول : محمد ،فيقول : بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك** » .

وهذا يدل على دقة تنفيذهم للأوامر .

وعلي الرغم من كثرة تسبيحهم وصلاتهم وحجهم وطاعتهم لربهم إلا أن خشيتهم له عظيمة ، قال الله فيهم :

﴿ **وهم من خشيته مشفقون** ﴾ .

وقد مر النبي ﷺ ليلة أسري به بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى والملائكة أفضل من صالحي البشر باعتبار البداية فإنهم الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنوا آدم مستغرقون في عبادة الرب وهذه الأحوال ا الآن أكمل من أحوال لبشر .

ولكن صالحي البشر أفضل من الملائكة باعتبار كما النهايج وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى وسكنوا الدرجات العلا وحياهم الرحمن وخصهم بزيد قربه وتجلي لهم يستمتمعون بالنظر إلى وجهه الكريم وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم .

وهذا التحقيق الذي ذكره ابن تيمية في هذه المسألة يتبين به التفضيل وتتفق به أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه .

وقد كلف الملائكة القيام بمهام محددة تجاه بني آدم كلهم مؤمنهم وكافرهم ، إلا أن دورهم مختلف مع المؤمنين والكفار فهم يحبون المؤمنين .

لما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله تبارك وتعالى إذا**

أحب عبداً نادى جبريل : إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء : إن الله أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض » متفق عليه .

وهم يسددون المؤمن لما رواه البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله فقال الملك : قل إن شاء الله ،فلم يقل ونسى فأطاف بهن ولم تلد إلا امرأة منهن نصف إنسان** .

قال النبي ﷺ : « **لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته** » .

والملائكة تصلي على معلم الناس الخير ، والذين يؤمون المساجد للصلاة ، والذين يصلون في الصف الأول، والذين يمكثون في مصلاهم بعد الصلاة ، الذين يسدون الفرج بين الصفوف ، والذين يعودون المرضى كما يصلون أيضاً على الذين يتسحرون ، والذين يصلون على النبي ﷺ وبكل ذلك وردت الأخبار .

يقول تعالى : ﴿ **هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً** ﴾ .

والصلاة من الله تعالى ثناء العبد عند الملائكة أو هي الرحمة وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار لهم .

والملائكة تتعاقب فينا فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يخرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول : كيف تركتم عبادي : فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم**

يصلون » متفق عليه .

وهم بالإضافة لذلك يؤمنون على دعاء المؤمنين ويستغفرون لهم ، ويشهدون مجالس العلم وحلق الذكر ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده** » .

وهم يقومون بتسجيل الذين يحضرون الجمعة .

ويبلغون الرسول ﷺ من أمته السلام .

ويبشرون المؤمنين كما في بشارتهم لخديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، وبشارتهم لزكريا بيحيى .

والملائكة أيضاً يقاتلون مع المؤمنين ويثبتونهم في حروبهم كما حدث يوم بدر والخندق .

ولما هم أبو جهل أن يطأ على رقبة الرسول ﷺ ويعفر وجهه في التراب قال النبي ﷺ : « **لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً** » رواه مسلم عن أبي هريرة .

كما أنهم يقومون بحماية المؤمنين ونصرتهم وتفريج كربهم ومن ذلك مجيء جبريل لأم إسماعيل وقوله لها : « لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله » .

وفي المقابل فإن الملائكة لا يحبون الكفرة الظالمين المجرمين بل يعادونهم ويحاربونهم ويزلزلون قلوبهم كما حدث في معركة بدر والأحزاب .

كما أنهم ينزلون العذاب بالكفار كما في إهلاكهم قوم لوط .

وهم يلعنون الكفرة والمرأة التي لا تستجيب لزوجها والذي يشير إلى أخيه بحديدة ، والذين يحولون دون تنفيذ شرع الله ، والذي يؤوي محدثاً ، كما أنهم يلعنون أيضاً من سب صحابة رسول الله ﷺ .

لهذا كله فالمؤمن الذي يعبد الله ويتبع رضوانه لا مناص له من أن يتولى الملائكة بالحب والتوقير ويتجنب كل ما من شأنه أن يسيء إليهم ويؤذيهم وفي الحديث : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب » متفق عليه (١) .

ويقول النبي ﷺ «**من أكل الثوم والبصل والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم** » متفق عليه

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق عن أمامه فإنه يناجي الله مادام في مصلاه ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها** » .

ونحن في محبتنا للملائكة لا نفرق في ذلك بين ملك وملك لأنهم جميعاً عباد الله ، عاملين بأمره تاركين لنبيه ، فمن عادى واحداً فقد عادى الله وجميع الملائكة .

فاستشعروا عباد الله معاني الإيمان بالملائكة وتعاقبهم فيكم وقربهم منكم : ﴿ **إذ يتلقى المتلقيتن عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ .

---

(١) ما عدا لفظة « فهي زيادة ضعيفة . قاله الحافظ في الفتح . اهـ مصححه

الدرس السابع والعشرون :

زكاة الفطر : نصيحة لمن يخرج زكاة ماله في رمضان :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » رواه البخاري .

وصدقة الفطر هي ما يخرجه المسلم من ماله للمحتاجين طهرة لنفسه ، وجبراً لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه ، لقول ابن عباس رضي الله عنهما : « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين » رواه أبو داود بسند جيد .

وقد شرعت زكاة الفطر في شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

وهي تفترق عن زكاة المال فالزكاة هي صدقة المال ، والفطر والكفارة صدقة الأبدان .

وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله - أن صدقة الفطر فريضة فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين وما فرضه رسول الله ﷺ أو أمر به فله حكم ما فرضه الله تعالى أو أمر به .

قال تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

وهي فريضة على الكبير والصغير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين .

ولا تجب عن الحمل الذي في البطن إلا أن يتطوع بها فلا بأس ، فقد كان أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه يخرجها عن الحمل ، ويجب إخراجها عن نفسه وكذلك عمن تلزمه مؤونته من زوجة أو قريب إذا لم يستطيعوا إخراجها عن أنفسهم فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجوها عن أنفسهم لأنهم المخاطبون بها أصلاً .

ولا تجب إلا على من وجدها فاضلة زائدة عما يحتاجه من نفقة يوم العيد وليلته ، فإن لم يجد ألا أقل من صاع أخرجه لقوله :

﴿ **فاتقوا الله مااستطعتم** ﴾ وقول النبي ﷺ : « **إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استعطتم** » متفق عليه .

وأما حكمتها فظاهرة ففيها إحسان إلى الفقراء وكف لهم عن السؤال في أيام العيد ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم به ويكون عيداً للجميع .

وفيها الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة ، وفيها تطهير الصائم مما يحصل في صيامه من نقص ولغو وإثم .

وفيها إظهار شكر نعمة الله بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه وفعل ما يتيسر من الأعمال الصالحة فيه .

وأما جنس الواجب في زكاة الفطر فهو طعام الآدميين من تمر أو بر أو رز أو زبيب أو أقط (وهو اللبن الذي لم تنزع زبدته) أو غيرها من

طعام بني آدم .

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : « كنا نخرج يوم الفطر في عهد النبي ﷺ صاعاً من طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر » رواه البخاري .

ولا يجزئ إخراج القيمة لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » .

وفي رواية « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه مسلم .

وأصله في الصحيحين ومعنى رد أي مردود ، لأن إخراج القيمة مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم حيث كانوا يخرجونها صاعاً من طعام ، وقد قال النبي ﷺ : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي** » .

ولأن زكاة الفطر عبادة مفروضة من جنس معين فلا يجزئ إخراجها من غير الجنس المعين كما لا يجزيء إخراجها في غير الوقت المعين ، ولأن النبي ﷺ عيَّنها من أجناس مختلفة وأقيامها مختلفة غالباً ، فلو كانت القيمة معتبرة لكان الواجب صاعاً منجنس ما يقابل فيمته من الأجناس الأخرى .

ولأن إخراج القيمة يخرج الفطرة عن كونها شعيرة ظاهرة إلى كونها صدقة خفيفة ، فإن إخراجها صاعاً من طعام يجعلها ظاهرة بين المسلمين معلومة للصغير والكبير يشاهدون كيْلها وتوزيعها ويتبادلونها بينهم بخلاف ما لو كانت دارهم يخرجها الإنسان خفية بينه وبين الآخذ ، فإذا دعت الحاجة أو الضرورة جاز ومن هنا تعلم خطأ من يجعل

الاستثناء أصلاً بحيث لا يسأل ولا يخرج إلا القيمة ، بل والبعض يخرج قيمة البر مثلاً منذ عشرين سنة .

وأما مقدار الفطرة فهو صاع بصاع النبي ﷺ وهو عبارة عن كيلوين وأربعين جراماً من البُرِّ توضع في إناء بقدرها بحيث تملؤه ثم نكيل به .

وأما وقت وجوب زكاة الفطر فهو غروب الشمس ليلة العيد .

فمن كان من أهل الوجوب حينذاك وجبت عليه وإلا فلا .

وعلى هذا فإذا مات قبل الغروب ولو بدقائق لم تجب وإن مات بعده ولو بدقائق وجب إخراج الزكاة عنه ، ولو ولد شخص بعد الغروب ولو بدقائق لم تجب ، لكن يُسن إخراجها كما سبق وإن ولد قبل الغروب ولو بدقائق وجب إخراج الصدقة عنه .

وإنما كان وقت وجوبها غروب الشمس من ليلة العيد لأنه الوقت الذي يكون به الفطر من رمضان وهي مضافة إلى ذلك فإنه يقال : زكاة الفطر من رمضان فكان مناط الحكم ذلك الوقت .

وأما زمن دفعها فله وقتان : وقت فضيلة ووقت جواز .

فأما وقت الفضيلة : فهو صباح العيد قبل الصلاة لما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « كنا نخرج في عهد النبي ﷺ يوم الفطر صاعاً من طعام » وفيه أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي : « أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة » رواه مسلم وغيره .

وقال ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال يقدم الرجلُ زكاة الفطر بين يدي صلاته فإن الله يقول ﴿ **قد أفلح من تزكى**

وذكر اسم ربه فصلى ﴾ ولذلك كان من الأفضل تأخير صلاة العيد يوم الفطر ليتسع الوقت لإخراج الفطرة .

وأما وقت الجواز فهو قبل العيد بيوم أو بيومين ففي صحيح البخاري عن نافع قال : كان ابنُ عمر يعطي عن الصغير والكبير حتى إن كان يعطي عن بنيَّ وكان يعطيها الذين يقبلونها وكانوا يُعطون قبل الفطر بيوم أو يومين ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد فإن أخرها عن صلاة العيد بلا عذر لم تقبل منه لأنه خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « أن من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » .

أما إن أخرها لعذر فلا بأس ، مثل أن يجيء العيد وليس عنده ما يدفع منه أو ليس عنده من يدفع إليه ، أو يأتي خبر بثبوت العيد فجأة بحيث لا يتمكن من إخراجها قبل الصلاة أو يكون معتمداً على شخص في إخراجها فينسى أن يخرجها قبل الصلاة فلا بأس أن يخرجها ولو بعد العيد لأنه معذور في ذلك .

والواجب أن تصل إلى مستحقها أو وكيله في وقتها قبل الصلاة ، فلو نواها لشخص ولم يجده ولا وكيله وقت الإخراج فإنه يدفعها إلى مستحق آخر ولا يؤخرها عن وقتها .

وأما مكان دفعها : فتدفع إلى فقراء المكان الذي هو فيه وقت الإخراج سواء كان محل إقامته أو غيره من بلاد المسلمين لا سيما إن كان مكاناً فاضلاً كمكة والمدينة أو كان فقراؤه أشد حاجة ، فإن كان في بلد ليس فيه من يدفع إليه أو كان لا يعرف المستحقين فيه ، وكل من يدفعها

عنه في مكان فيه مستحق .

والمستحقون لزكاة الفطر هم الفقراء ومَن عليهم ديون لا يستطيعون وفاءها فيعطون منها بقدر حاجتهم .

ويجوز توزيع الفطرة على أكثر من فقير ودفع عدد من الفطر إلى مسكين واحد ، لأن النبي ﷺ قدَّر الواجب ولم يقدر من يُدفع إليه ، وعلى هذا لو جمع جماعة فطرهم في وعاء واحد بعد كيلها وصاروا يدفعون منه بلا كيل ثان أجزأهم ذلك ، لكن ينبغي إخبار الفقير بأنهم لا يعلمون مقدار ما يدفعون إليه لئلا يغتر به فيدفعه عن نفسه وهو لا يدري عن كيله .

ويجوز للفقير إذا أخذ الفطرة من شخص أن يدفعها عن نفسه أو أحد من عائلته ، إذا كالها أو أخبره دافعها أنها كاملة ووثق بقوله .

والمسلم تلزمه الصدقة عن الوالدات الفقيرات والأولاد الذكور الذين لا مال لهم حتى يشتغلوا بمعاشهم ، وكذلك الإناث إلى أن يدخل بهن الزوج ، والمماليك والخدم الذين التزم المخدوم بنفقتهم ومعاشهم ويجوز صرفها للمسافرين المغتدبين الذين لا مال لهم بأيديهم ، أو الداخلين في الإسلام الذين لا يجدون عملاً يعيشون منه .

نصيحة
لمن يخرج زكاة ماله في رمضان

إذا كانت الصلاة عماد الدين ، فالزكاة هي قنطرة الدين فمن أداها نجا ، ومن تخلف عنها هلك .

وقد قرن تعالى بين الصلاة والزكاة في أكثر من موضع من كتابه .

فقال سبحانه : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ .

والزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة وفريضة على كل مسلم ملك نصاباً من حال بشروطه .

ولا تجزيء إلا بنيتها فلو دفعها بغير نية الزكاة المفروضة لما أجزأته ، والزكاة شيء ، وصدقة الفطر وصدقات التطوع والضرائب شيء آخر .

فالزكاة حق معلوم تخرجها لصنف من الأصناف الثمانية .

﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله** ﴾ .

ولا يجوز تأخيرها عن وقتها بغير عذر شرعي ، ويصح تعجيل إخراجها .

وقد رأينا الكثيرين يحرصون على إخراج زكاة مالهم في رمضان فعليهم أن يتعرفوا على فقه الزكاة ، ويؤثرون بها ذوي الصلاح من الفقراد لإعانتهم بها على طاعة الله .

وبالنسبة للمال وعروض التجارة فزكاتها تقوم تبعاً للفضة ، ونصاب الفضة عبارة عن ٦٢٤ جرام وبالتالي فالمال إذا بلغت قيمته هذا المقدار وحال عليه الحول القمري الكامل ، فعلى الإنسان أن يخرج منه قيمة ربع العشر أي ٥ , ٢٪ .

أما نصاب الذهب فهو عبارة عن ٨٥ جرام عيار (٢٤)جرام وبالتالي فلو كان الإنسان لديه مثلاً ١٠٠جم عيار (١٨) فيكون حساب الزكاة على النحو التالي : ١٠٠× ١٨ ÷ ٢٤ = ٧٥ جرام عيار ٢٤ .

وهذا المقدار لا تجب فيه الزكاة وإنما تستحب الصدقة منه ، فإذا بلغ

النصاب (٨٥جم) فعليه أن يخرج منه قيمة ربع العشر ٥ , ٢ ٪ حتى ولو كان الذهب للزينة وهذا في أحوط أقوال أهل العلم .

والله أعلم إذ رد العلم إليه أسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدرس : الثامن والعشرون

التائب من الذنب كمن لا ذنب له

عباد الله افتتحوا شهر رمضان بالتوبة واختموه بها فهي أول المنازل وأوسطها وآخرها ، فإن الإنسان لا يخلو من الخطأ والتقصير ، وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

ورب العزة جل وعلا أحق أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يُشكر فلا يكفر .

فالبدار إلى التوبة قبل حلول النقمة عساها ترد ما قد يرد فإن البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديّان لا ينام .

وقد دعا سبحانه العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وبيّن تعالى أنه يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر .

فقال سبحانه : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذي تقول وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة .

فنزل : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون** ﴾ .

ونزل : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ رواه البخاري ومسلم .

وروي « **أهل ذكري أهل مجالستي وأهل شكري أهل زيادتي وأهل معصيتي لا أويسهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب** » .

وروي « **أن شاباً أطاع الله عشرين عاماً وعصاه عشرين عاماً فنظر في المرآة يوماً وقال : اللهم إني أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فهل إن رجعت إليك تقبلني فسمع صوتاً يقول ولا يرى شيئاً** »، « **أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وإن رجعت إلينا قبلناك** » .

وسأل الفضيل رجلاً يوماً فقال له : كم أتت عليك ؟ قال : ستون سنة . فقال له الفضيل : أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ ، فقال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال له الفضيل : أتعرف تفسيره ؟ تقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، من علم أنه لله عبد وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف ، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول ، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً ، فقال الرجل : فما الحيلة ، قال له الفضيل ، يسيرة ، تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى ، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة .

قال سبحانه : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا** ﴾ .

قال الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

وقد أمر تعالى بالنصح في التوبة فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا**

إلى الله توبة نصوحاً ﴾ والتوبة النصوح : هي التي يستغفر فيها العبد باللسان ويندم بالقلب ويقلع بالجوارح ، وقيل تندمون بها على ما مضى وتعزمون على عدم العودة فيه مرة ثانية ، أو توبة تنصحون بها أنفسكم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** » رواه البخاري .

وكان أيضاً يقول : « **يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة** » رواه مسلم .

وفي الحديث « **لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاه فانفلتت منه وعليها طعام وشراب فأيس منها فأتى شجرة واضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح** » رواه مسلم .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال :لا . فقتله فكمل مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم من يحول بينه وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناثاً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب قالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب :**

إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرض فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة » .

وقد فتح ربنا أبواب التوبة حتى لمن قال إن الله ثالث ثلاثة ، فقال سبحانه : ﴿ **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين** ﴾ .

والفقيه بحق هو الذي لا يجريء الناس على انتهاك حرمات الله ولا يقنطهم من رحمة الله ﴿ **نَبِّىء عِبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم** ﴾ ﴿ **حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾ .

ولكي تكون التوبة مقبولة فلا بد من توافر عدة شروط .

منها : أن تكون خالصة لله عز وجل فلا يريد بها شيئاً من الدنيا ، كحفظ مكانة أو استدفاع مضرة ونحو ذلك بل يكون الباعث لها حب الله وتعظيمه ورجاء ثوابه والخوف من عقابه .

ومنها : الندم إذ الندم توبة .

ومنها : الإقلاع عن المعصية إذ تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب ، وتصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره لأن الأعمال تتبعض والإيمان يتفاضل ولكن لا يستوي هذا مع من عمم بتوبته جميع الذنوب والآثام ، وما يستحقه التائبون على الإطلاق من الأوصاف الحميدة والمنازل العالية .

ومنها : أن يعزم على عدم العودة إلى المعصية مرة ثانية وقد قال

البعض : متى عاد إلى الذنوب تبينا أن توبته كانت باطلة والأكثرون من العلماء على خلاف ذلك .

ومنها : أن لا تكون بعد انتهاء وقت قبول التوبة إذ أن لها وقتاً بالنسبة لعمر الإنسان والزمن .

فعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « **إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه** » رواه مسلم .

وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » رواه الترمذي وحسنه الألباني .

أما إذا كان الذنب متعلقاً بحقوق الآدميين ، فعلى التائب أن يصلح ما أفسد أو يسترضي من أخطأ في حقه لقوله ﷺ : « **من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات** » رواه البخاري .

فإذا كانت معصية بأخذ مال الغير دون وجه حق ، فمن تمام توبته تأدية المال إلى صاحبه إن كان حياً أو إلى ورثته إن كان ميتاً ، فإن لم يكن له ورثة أداه إلى بيت المال .

وإن كان لا يدري من صاحب المال تصدق به عنه إذ لا يضيع الله ثواب الصدقة .

فقد روي أن ابن مسعود رضي الله عنه اشترى من رجل جارية

ودخل يزن له الثمن فذهب رب الجارية فانتظره حتى يئس من عودته فتصدق بالثمن ، وقال : اللهم هذا عن رب الجارية فإن رضي فالأجر له وإن أبى فالأجر لي وله من حسناته بقدره .

وإن كانت معصيته بغيبة مسلم وجب أن يستحله من ذلك إن كان قد علم بغيبته إياه أو خاف أن يعلم بها ، وإلا استغفر له وأثنى عليه بضد ما اغتابه به في نفس مجلس الغيبة ، فإن الحسنات يذهبن السيئات .

وأما توبة من عاوض غيره معاوضة محرمة وقبض العوض ، كبائع الخمر والمغني وشاهد الزور ثم تاب والعوض بيده فعليه أن ينفق هذا المال في مصالح المسلمين ، إلا إن احتاجه في سداد دين أو نفقة عيال واجبة .

وهكذا توبة من اختلط ماله الحلال بمال حرام وتعذر عليه تمييزه فعليه أن يقدر الحرام ويتصدق به ويطهر بقية ماله .

والعبد لا يخلو عن وساوس الشيطان هذا إن خلا عن الهم بالذنوب بقلبه ومفارقته بجوارحه ، ولهذا قال ﷺ : « **إنه ليُغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة** » رواه مسلم ، ولذلك أكرمه الله تعالى بقوله : ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾ فكيف يكون حال غيره ؟ .

فعلينا بحسن التأسي برسول الله ﷺ وبكثرة ذكر الموت والقبور والآخرة .

قال تعالى : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ فهؤلاء إذا صدرت منهم الخطيئة أو خطر لهم الشيطان بمعصية سرعان ما ينظرون إلى أمر الله ونهيه ويتذكرون وعده ووعيده فيحدث لهم ذلك تبصرة يسيرون بمقتضاها في طاعة الله ولسان

حالهم قول ربهم : ﴿ **وعجلت إليك ربِّ لترضى** ﴾ ويهتف الواحد منهم بنفسه ويقول :

ألا يا نفس ويحك ساعديني   بسعي منك في ظلم الليالي

لعلك في القيامة أن تفوزي   بطيب العيش في تلك العلالي

وعلى العبد أن يستشعر فضل ربه عليه وتوفيقه له في هذه التوبة ، وذلك لأن توبته محفوفة بين توبتين من الله ، توبة من الله سابقة وهي توبة الإذن والإلهام ، وتوبة من الله لاحقة وهي توبة القبول والإثابة .

﴿ **وعلى الثلاثة الذين خلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا** ﴾ .

وها نحن وقد فتحت أبواب الجنة وغلّقت أبواب الجحيم وصُفِّدتْ مردة الشياطين .

فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر .

﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ .

الدرس : التاسع والعشرون

أحكام العيد : تقبل الله منا ومنكم

شرعت صلاة العيدين في السنة الأولى من الهجرة ، وهي سنة مؤكدة واظب النبي ﷺ عليها ، وأمر الرجال والنساء أن يخرجوا لها ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « ما هذان اليومان » قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال ﷺ « **أبدلكم الله بهما خيراً منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر** » رواه أبو داود وهو حديث صحيح .

وفي حديث أم عطية قالت : « أمرنا أن نخرج العواتق (البنات الأبكار) والحيض في العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ويعتزل الحيض المصلى » متفق عليه ، ولما قال البعض منهن لرسول الله ﷺ : « إن إحدانا لا تجد لها جلباباً » فقال : « **لتلبسها أختها من جلبابها** » وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ : « **كان يخرج نساءه وبناته في العيدين** » رواه ابن ماجة والبيهقي .

وعن ابن عباس قال : « خرجت مع النبي ﷺ يوم فطر أو أضحى فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة » رواه البخاري .

غير أن المرأة إذا خرجت من بيتها لمثل هذه الحاجة فعليها بالتأدب بالآداب الشرعية في ملبسها وغض بصرها وأخذها حواف الطريق والبعد عن الاختلاط بالرجال .

التكبير : يندب إحياء ليلة العيد بالذكر والتكبير والدعاء

والاستغفار والعطاء للبائسين .

ويبدأ التكبير في عيد الفطر من رؤية الهلال حتى يغدو الناس إلى المصلى وحتى يصعد الإمام على المنبر لقوله تعالى : ﴿ **ولتكملوا العدةَ ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** ﴾ .

أما في عيد الأضحى فمن صبح يوم عرفة إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق لقوله تعالى : ﴿ **واذكروا الله في أيام معدودات** ﴾ قال البخاري : قال ابن عباس : هي أيام التشريق وهي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة . والتكبير في أيام التشريق لا يختص استحبابه بوقت دون وقت قال البخاري : وكان عمر رضي الله عنه يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل السوق حتى يرتج منىً تكبيراً .

وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلْفَ الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً وكانت ميمونة تكبر يوم النحر .

فالتكبير لا يقتصر على الثلاث مرات دبر الصلاة الكتوبة كما يصنع الناس في زماننا هذا كما لا يقتصر على الرجال دون النساء .

الخروج إلى المصلى : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « **كان رسول الله ﷺ يغدو إلى المصلى في يوم العيد** » رواه البخاري . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، لم يزل الناس على ذلك » متفق عليه .

والمصلى مكان يتسع لجموع المسلمين ، بعيداً عن العمران وذلك لإظهار شعائر الدين .

فالصلاة خارج البلد أفضل ، ما عدا مكة فإن صلاة العيد في المسجد الحرام أفضل ، فإذا كان هناك عذر مانع كمطر ونحوه فلا بأس بتأديتها في المسجد ، ويندب في هذه الصلاة المباركة لبس أجمل الثياب ، ويستحب الغسل والتطيب للعيدين ، فقد كان النبي ﷺ يلبس للعيدين أجمل ثيابه وكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة .

كما يسن أكل تمرات وتراً قبل الخروج إلى الصلاة في عيد الفطر وتأخير ذلك في عيد الأضحى حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته إن كان له أضحية .

قال أنس : « **كان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وتراً** » رواه البخاري .

فإن لم يجد تمراً أفطر على شيء مباح ، فعن بريدة قال : « **كان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل ولا يأكل يوم لأضحى حتى يرجع**» رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد وزاد : فيأكل من أضحيته ، وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب : أن الناس كانوا يؤمرون بالأكل قبل الغدو يوم الفطر .

كما يستحب مخالفة الطريق فعن جابر رضي الله عنه قال : « **كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق** » رواه البخاري .

وعن أبي هريرة قال : « كان النبي ﷺ إذاخرج إلى العيد يرجع في غير الطريق الذي خرج فيه » رواه مسلم . فإذا وصل المسلم إلى المصلى جلس ، إذ لم يثبت أن لصلاة العيد سنة قبلها ولا بعدها قال ابن عباس : « خرج رسول الله ﷺ يوم عيد فصلى ركعتين لم يصلي قبلها ولا بعدها » متفق عليه ، إلا أن من صلى بالمسجد عليه أن يؤدي تحية المسجد قبل جلوسه ، حتى وإن كان الوقت من أوقات الكراهة إذ تباح صلاة ذوات

الأسباب في أوقات الكراهة والأدلة على ذلك كثيرة .

كذلك إذا أراد الإنسان أن يتنفل مطلقاً في المصلى في غير أوقات الكراهة فلا حرج في ذلك .

صلاة العيد :

(١) وقتها : يسن تقديم الأضحى ليتسع وقت الأضحية ، وتأخير الفطر ليتسع وقت إخراج صدقة الفطر بلا خلاف بين العلماء ، فقد كان النبي ﷺ يصلي بهم الفطر والشمس على قيد رمحين ويستمر وقتها حتى الزوال .

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « **لم يكن يؤذن يوم الفطر ولا يوم الأضحى** » متفق عليه ، وروى مسلم عن عطاء قال : أخبرني جابر « أن لا أذان لصلاة يوم الفطر حين يخرج الإمام ولا بعدما يخرج ولا إقامة ولا نداء ولا شيء » ، لا نداء يومئذ ولا إقامة وإذا كان الفعل سنة فكذلك الترك سنة مع وجود المقتضى وانتفاء الموانع .

(٣) صلاة العيد ركعتان كغيرها من النوافل غير أنه في الركعة الأولى وبعد تكبيرة الإحرام ودعاء الاستفتاح ، وقبل التعوذ والقراءة يكبر سبع تكبيرات « الله أكبر » يفصل بين كل تكبيرتين بقدر قراءة آية قصيرة ، ولم يحفظ عن النبي ﷺ ذكر معين بين التكبيرات ، فلو حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ كما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه فلا بأس .

وبعد أن ينتهي من التكبير يتعوذ ويقرأ الفاتحة والسورة ، أما في الركعة الثانية فإنه بعد تكبيرة القيام يكبر خمس تكبيرات ثم يأخذ في

القراءة ويندب أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة الأعلى ، وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة سورة الغاشية لأن ذلك سنة عن رسول الله ﷺ والتكبير سنة لا تبطل الصلاة بتركه عمداً ولا سهواً .

(٤) خطبة العيد : عن عبد الله بن السائب قال : شهدت مع رسول الله ﷺ العيد فلما قضى الصلاة قال : « **إنا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس ومن أحب أن يذهب فليذهب** » رواه النسائي وأبو داود وابن ماجة ، فالخطبة بعد صلاة العيد سنة والاستماع إليها أيضاً سنة . ويستحب افتتاح الخطبة بحمد الله تعالى ، ولم يحفظ عن رسول الله ﷺ غير هذا ولم يثبت في تكرير الخطبة شيء كما قال النووي

فبعد أن ينتهي الإمام من الصلاة يصعد المنبر ويخطب خطبة قصيرة يرشد الناس فيها إلى ما ينبغي عليهم فعله يوم العيد من البشاشة والصفاء والحب والولاء والتغاضي عن الهفوات والزلات ، وأهمية صلة الأرحام، ويستحثهم على الصدقة وإدامة الطاعة والذكر ويحذرهم فيها من المعاصي والبدع كالاختلاط والتبرج والذهاب إلى الشواطىء وحلاق السيدات ويزجرهم عن سماع الأغاني ومشاهدة أفلام الفسق والفجور ، ومن الأخطاء الشائعة حرص الرجال والنساء على زيارة القبور يوم العيد إما قبل الصلاة أو بعدها ، ولم يكن ذلك من هدي رسول الله ﷺ .

والسنة التهنئة يوم العيد بتقبل الله منا ومنك لا المعانقة فعن جبير بن نفير قال : « كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم للبعض : تقبل الله منا ومنك .

ومن فاتته صلاة العيد يصلي ركعتين كالنساء ومن في البيوت والقرى .

والجماعة إذا فاتتها صلاة العيد بسبب عذر من الأعذار تخرج من الغد فتصلي العيد .

ثم اعلم رحمك الله أن العيد لمن طاعاته تزيد ولمن غفرت له الذنوب وهو في ذات الوقت تذكرة بيوم المزيد ، وعيد الأضحى هو أفضل العيدين ، وهو محفوف بعيد قبله وأعياد بعده .

وأعيادنا الإسلامية هي من أعظم شعائر الدين التي يجب علينا أن نحرص على إظهارها وفق سنة رسول الله ﷺ .

فقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علينا أبو بكر في يوم العيد وعندنا جاريتان يذكران يوم بعاث ، يوم قتل فيه صناديد الأوس والخزرج فقال أبو بكر : عباد الله احذروا الشيطان قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ : « **يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وإن اليوم عيدنا** » وقال : « **لتعلم يهود المدينة أن في ديننا فسحة : إني بعثت بحنيفية سمحة** »

وبالتالي فالأعياد أمور توقيفية ، تؤخذ دون زيادة ودون نقصان .

ولا يصح ابتداع أعياد أخر كشم النسيم ومولد النبي .

ولا يجوز التشبه بأهل الكتاب في أعيادهم ، ولا بيعهم ما يستعينون به على إظهارها ، ولا قبول هداياهم المتعلقة بها ، إذ أعيادهم من أعظم شعائر دينهم الباطل . وهم ودوا لو بذلوا الأموال العظيمة في سبيل مشاركة المسلمين لهم في أعيادهم .

كما لا يجوز تهنئتهم بها ولا حضورها قال تعالى : ﴿ **والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً** ﴾ قال مجاهد : وغيره هو أعياد المشركين وكان عمر رضي الله عنه يقول : « إياكم ورطانة الأعاجم وأن

تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم فإن السخطة تنزل عليهم »
وأعياد المشركين جمعت الشبهة والشهوة والباطل ولا منفعة فيها في
الدين وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى نكد فصارت زوراً وصار من
وصف عباد الرحمن أنهم لا يشهدونها .

اللهم اجعلنا من الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة .

الدرس : الثلاثون

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

فالواجب على الإنسان أن يكون عبداً لله في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته وفي كل شأن من شئون حياته ، يتحرى صحة العمل وإخلاص العبودية لله تعالى .

﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ والطاعة بالنسبة للمؤمن كالماء للسمك والهواء للإنسان ، فلا تتصور حياة حقيقية في غيبة معاني الإيمان والعمل الصالح .

﴿ **أوَ مَنْ كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾ .

﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** ﴾ بل هو إذا ما حيل بينه وبين طاعة ربه يخزن ويشفق على نفسه ، حتى وإن كان معذوراً كحالة السبعة الذين أرجعهم النبي ﷺ من غزوة تبوك ، رجعوا وهم يبكون فذكر ربنا جل وعلا حالتهم :

﴿ **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزَناً ألا يجدوا ما ينفقون** ﴾ وكما قالوا : إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين أقامك ، وكان شداد بن أوس رضي الله عنه يقول : « إذا رأيت الرجل يعمل بطاعة الله فاعلم أن لها عنده أخوات وإذا رأيت الرجل يعمل بمعصية الله فاعلم أن لها عنده أخوات فإن الطاعة تدل على أختها وإن المعصية تدل على أختها .

﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فيسنسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فيسنسره للعسرى** ﴾ .

والمعصية مذلة ومهانة وضنك وشقاء ولذلك كان البعض يقول : « رأيت المعاصي نذالة فتركتها مروءة فاستحالت ديانة » .

وكان الحسن يقول « فإنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لا يفارق رقابهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه»، ولذلك فالمؤمن الكيس الفطن ، هو الذي ينتقل من طاعة إلى طاعة ومن عبادة إلى عبادة ورائده في ذلك قول الله تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [الحجر : ٩٩] واليقين هو الموت .

أمره بعبادته إذا قصر عبادة في خدمته ، وأن ذلك يجب عليه ومعنى الآية : لا تنفك عن طاعة الله ولا تفارق هذا حتى تموت وهذا كما قال العبد الصالح : ﴿ **وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً** ﴾ .

والدليل على أن اليقين هو الموت ، مارواه البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية وكانت من المبايعات وفيه : فقال رسول الله ﷺ : « **أما عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به** » .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول : ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت ، ثم لا يستعدون له يعني كأنهم فيه شاكون .

وقد روى جبير بن نفير عن أبي مسلم الخولاني أنه سمعه يقول : إن النبي ﷺ قال : « **ما أوحى إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن**

أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » .

والمسلم يعلم أن رب رمضان هو رب سائر العام واستعداده للقاء الله يدعوه دائماً لاغتنام كل لحظة وصرفها في طاعة الله حتى وهو يأكل ويشرب وينام ويعمل ويكتسب ويأتي سائر شئونه ، فهو لا ينفك فيه عن طاعة ربه ، وذلك لأنه يستن فيها بسنة رسول الله ﷺ وينتوي فيها نية الطاعة .

وقد وسع النبي ﷺ في مدلول الصدقة فقال صلى الله عليه وسلم : « **تبسمك في وجه أخيك صدقة** » وقال : « **وفي بضع أحدكم صدقة** » .

وإذا كان المسلم ينتقل من عبادة إلى أخرى في رمضان لتأكد الطاعة فيه فهناك مجال واسع للعبادة بعد رمضان ، فما نكاد نرى هلال شوال حتى نخرج من اعتكافنا ، ونستعد لعيد فطرنا ، والأعياد من أعظم شعائر الدين ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « ما هذان اليومان » ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال ﷺ : « **أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر** » رواه أبو داود وهو حديث صحيح .

ويتأكد الإكثار من ذكر الله عقب الانتهاء من الفرائض كالصلاة والصيام والحج ، فدبر الصلاة يعد من أوقات الإجابة .

ويشرع للإنسان فيه الاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير وتلاوة آية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين واللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، واللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وغيرها من الأذكار التي تشرع عقب الصلاة .

ويقول تعالى : ﴿ **فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً** ﴾ وهذا في الحج .

ويقول سبحانه : ﴿ **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** ﴾ وهذه الآية وردت بشأن الصيام ، حيث يشرع للمسلمين أن يبدأوا التكبير في عيد الفطر من رؤية الهلال حتى يغدو الناس إلى المصلى وحتى يصعد الإمام على المنبر ويستأنف العباد شهر شوال بانقضاء رمضان حيث يكونون قد تزودوا بزاد التقوى وشعروا بحلاوة الإيمان ودفء اليقين وتربوا تربية إيمانية يستصحبونها في سيرهم إلى الله في شوال وفي سائر أشهر العام .

قال تعالى : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ التوبة : (٣٦) ، فبين سبحانه أنه وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على مارتبها عليه يوم خلق السموات والأرض ، وأنزل ذلك على أنبيائه في كتبه المنزلة ، وحكمها باق على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لأسمائها .

والمقصود من ذلك اتباع أمر الله فيها ورفض ما كان عليه أهل الجاهلية من تأخير أسماء الشهور وتقديمها ، وتعلق الأحكام علي الأسماء التي رتبوها عليه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع : « يا أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » وهذا يدل على أن الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها ، إنما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط وإن لم تزد على اثني عشر

شهراً ، لأنها مختلفة الأعداد منها ما يزيد على ثلاثين ومنها ما ينقص .

وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين وإن كان منها ما ينقص والذي ينقص ليس يتعين له شهر ، وإنما تفاوتها في النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر في البروج .

وشهر شوال الذي يعقب رمضان هو من جملة أشهر الحج ويعقب ذلك ذو القعدة وذو الحجة وكلاهما من أشهر الحج والأشهر الحرم .

فهل يليق بنا أن نقلل من طاعاتنا وعبوديتنا في هذه الأشهر ؟ ! يقول تعالى : ﴿ **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** ﴾ [البقرة : ١٩٧] فجميع السنة وقت للإحرام بالعمرة وأما الحج فيقع في السنة مرة ، فلا يكون في غير هذه الأشهر .

قال ابن مسعود وابن عمر وعطاء والربيع ومجاهد والزهري : أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة كله ، وقال ابن عباس والسدي والشعبي والنخعي : هي شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة .

فشمر عن ساعد الجد ، واحذر التسويف ، واحذر طريقة قوم غرهم طول الأمل قال تعالى : ﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ [البقرة : ١٤٨] . وقال تعالى : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ [آل عمران : ١٢٣] . وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد : « **أرأيت إن قتلت فأين أنا ؟ قال** : « **في الجنة** » فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال : « **أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان** » متفق عليه ، وعن أبي هريرة

رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال : « **بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنىً مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

ونصيحتي لنفسي ولإخواني ، أن ننصبغ بصبغة الإسلام في يومنا وليلتنا فنحافظ على تأدية جميع الصلوات في وقتها ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾ .

ويجب على الرجل أن يصلي في جماعة في المسجد كما ينبغي المحافظة على السنن القبلية والبعدية ، والإكثار من تلاوة القرآن وذكر الله تعالى وخصوصاً الأذكار الموظفة كأذكار الشروق والغروب وأذكارالنوم .

وعلى العبد أن يتفكر في الموت والقبور والآخرة والوقوف بين يدي من لا يخفى عليه خافية ، وتطاير الصحف إلى اليمين وإلى الشمال .

واحرص على الإكثار من الدعاء فالدعاء هو العبادة ولن يهلك مع الدعاء أحد ، وإذا ألهم العبد دعاء فإن الإجابة معه ، ولا تعارض بين ذلك كله وبين العمل والتكسب والقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى .

فاللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري .

وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي .

وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي .

واجعل الحياة زيادة لي في كل خير .

واجعل الموت راحة لي من كل شر .

الخـــاتمـــة

وقد آن للعين أن تدمع وللقلب أن يخشع

قال تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ، اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون** ﴾ في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : « ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية » ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾ إلا أربع سنين .

قال الحسن : استبطأهم وهم أحب خلقه إليه ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه ، فجعل ينظر بعضنا إلى بعض ويقول : ما أحدثنا ؟ وروي أن المزاح والضحك كثر في أصحاب النبي ﷺ لما ترفهوا بالمدينة فنزلت الآية ، ولما نزلت هذه الآية قال ﷺ : « إن الله يستبطئكم بالخشوع » فقالوا عند ذلك : خشعنا .

وهذا شأنهم رضي الله عنهم في سرعة الاستجابة والفيئة وكذلك لما قيل لهم ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ قالوا : انتهينا ربنا انتهينا ربنا ، وقال ابن عباس : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن .

وقيل نزلت في المنافقين ، وقيل أيضاً : هذا الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام لأنه قال عقيب هذا : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله** ﴾ أي ألم يأن للذين آمنوا بالتوراة والإنجيل أن تلين قلوبهم للقرآن وألا يكونوا كمتقدمي قوم موسى وعيسى ، إذ طال عليهم الأمد بينهم وبين نبيهم فقست قلوبهم . وفي الآيات نهي عن التشبه بأهل

الكتاب من اليهود والنصارى وزجر عن الكفر والمعاصي وكل أسباب قسوة القلوب ﴿ **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ .

قال محمد بن كعب : كانت الصحابة بمكة مجدبين ، فلما هاجروا أصابوا الريف والنعمة ، ففتروا عما كانوا فيه ، فقست قلوبهم ، فوعظهم الله فأفاقوا .

وقال مالك : بلغني أن عيسى عليه السلام قال لقومه : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتقسوا قلوبكم ، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون ، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فيها أو قال : في ذنوبكم كأنكم عبيد فإنما الناس رجلان معافىً ومبتلىً ، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية .

وقد جعل الله كتابه شفاءً لما في الصدور وهدى ورحمة ، وقال سبحانه : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ﴾ .

فإذا شكوت يوماً من قسوة قلبك ، فأذبه بالذكر .

واطلع في قبور واشهد الموتى .

وأكثر من ذكر هادم اللذات .

واعلم أن الله تعالى قادر على إحياء قلبك بعد مواته ، وقد فتح أمامك أبواب الرجاء فقال سبحانه : ﴿ **اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها** ﴾ .

فاضرع إليه سبحانه .

وتذكر أن هذه الآيات كانت سبباً في توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهم الله تعالى ، فإن عبد الله ابن المبارك لما سئل عن بدء زهده قال : كنت يوماً مع إخواني في بستان لنا ، وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه ، فأكلنا وشربنا حتى ألليل فنمنا ، وكنت مولعاً بضرب العود والطنبور فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين السحر وأراد سنان يغني وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة ، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد ، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان يعني العود الذي بيدي ويقول : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق** ﴾ قلت بلى والله وكسرت العود ، وصرفت من كانت عندي ، فكان هذا أول زهدي وتشميري ، ذكره القرطبي عن أبي المطرف عبد الرحمن بن مروان القلانسي .

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جارية فواعدته ليلاً ، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾ فرجع القهقري وهو يقول والله قد آن ، فأواه الليل إلى خربة وفيها جماعة من السائلة وبعضهم يقول لبعض :

إن فضيلاً يقطع الطريق ، فقال الفضيل : أواه ! أراني بالليل أسعى في معاصي الله وقوم من المسلمين يخافونني ، اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي جوار بيتك المحرم .

عباد الله : آن للقلوب أن تخشع وللعيون أنتدمع .

اللهم اجبر كسرنا على فراق شهرنا .

واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاك .

ولك الحمد يا ربنا على إنعامك وتوفيقك ﴿ **له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون** ﴾ .

وسبحانك اللهم ربنا وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

مسائل هامة

(١) الوسواس لا يبطل الصلاة إذا كان قليلاً باتفاق أهل العلم ، بل ينقص الأجر كما قال ابن عباس ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ، وفى السنن عن النبى ﷺ أنه قال : " **إن العبد لينصرف من صلاته ، ولم يكتب له منها إلا نصفها ، إلا ثلثها ، إلا ربعها . إلا خمسها ، إلا سدسها ، إلا سبعها ، إلا ثمنها ، إلا تسعها ، إلا عشرها** " ، وقد صح عن النبى ﷺ: " الصلاة مع الوسواس مطلقاً " ، ولم يفرق بين القليل والكثير ، وعلى العبد أن يستعين بربه ويشتغل بدفع الواسواس عن نفسه .

(٢) الإمام سترة للمأمومين . ويجوز المرور بين يدى المأمومين إذا دعت الحاجة والمنهى عنه إنما هو بين يدى الإمام والمنفرد ، واستدلوا بحديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣) يجوز للمأموم أن يتقدم على الإمام . إذا ضاق المسجد بالمصلين ، إذا وجبات الصلاة تسقط بالعذر والعجز ، ولحديث أم ورقة وكانت تؤم أهل بيتها لكونها كانت قارئة ولم تكن تتقدمهم (أفادة شيخ الإسلام ابن تيمية) .

(٤) كذلك يجوز للإنسان أن يصلى منفرداً خلف الصف إذ ا لم يجد فرجة فى الصف ولم يجد من يحاذيه ، لحديث صلاة النبى ﷺ بأنس واليتيم وكانت أم سليم خلفهما ، تصلى منفردة لأنها لم تجد من يحاذيها من النساء ولم تستطع الدخول فى الصف مع الرجال ، الحديث فى الصحيحين .

(٥) تصلح صلاة العشاء خلف من يصلى التراويح فى أصح أقوال العلماء .

(٦) يقول ابن تيمية : ليس لأحد أن يتحجر من المسجد شيئاً لا سجادة يفرشها قبل حضوره ولا بساطاً ، ولا غير ذلك وليس لغيره أن يصلى عليها بغير إذنه ، لكن يرفعها ويصلى مكانها ، فى أصح قولى العلماء . والله أعلم .

(٧) قراءة الفاتحة من واجبات الصلاة وما من أية من آياتها إلا وقرأت بأكثر

من قراءة بحيث يندر وقوع اللحن فيها ، كالسراط والصراط والزراط وهذا من رحمة الله بعبادة ولا تصح صلاة من يلحن لحناً بحيث يحيل المعنى وهو يعلم ذلك .

(٨) ليس للمأموم أن يقرأ حال جهر الإمام إذا كان يسمع لا بالفاتحة ولا غيرها ، وهذا قول الجمهور من السلف والخلف وهذا مذهب مالك وأحمد وأبى حنيفة وغيرهم وأحد قولى الشافعى و قيل : بل يجوز الأمران ، والقراءة أفضل ، وقيل ، بل القراءة واجبة ، وهو القول الأخر للشافعى وقد ذهب ابن تيمية والألبانى وغيرهم إلى قول الجمهور .

(٩) النية محلها القلب ، ولا داعى للتلفظ بها إذ التلفظ بها فى الصلاة بدعة .

(١٠) التزام رفع اليدين للدعاء عقب الإنتهاء من الصلاة ، ليس من السنة وكذلك قول المصلين بعضهم لبعض حرماً مع المصافحة ليس عليه أثارة من علم .

(١١) من صلى الوتر ثم بدا له أن يصلى جاز ولا يعيد الوتر لما رواه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه عن على قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **لا وتران فى ليلة** " وعن عائشة أن النبى ﷺ: **كان يسلم تسليما يسمعنا ، ثم يصلى ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد** " رواه مسلم ، وعن أم سلمة : أنه ﷺ **كان يركع ركعتين بعد الوتر وهو جالس** " رواه أحمد وأبو داود والترمذى وغيرهم ، وبمقدوره أن يشفع الوتر بأن يضيف إليه ركعة ويجعل آخر صلاته بالليل وتراً .

(١٢) شرط الأتمام رؤية أو سماع ، ويشرع التبليغ إذا دعت الحاجة لذلك كأن يتسع المسجد مع ضعف صوت الإمام ، فإذا لم يقم أحد بالتبليغ ولم تتحقق الرؤية وإنتفى السماع ، أتم كل إنسان الصلاة لنفسه .

(١٣) عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : " **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**

وليخرجن كفلات (أى غير متطيبات) " رواه أحمد وأبو داود وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : " **لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد و بيوتهن خير لهن** " رواه أحمد وأبو داود ، فلا تمنع المرأة من صلاة الجماعة أو التراويح طالما أنها متأدبة بالأداب الشرعية وقد لا تنفك عن أطفال صغار ولا حرج من إصطحابهم إلى المسجد وخصوصاً إذا خيف ضياعهم بسبب تحركهم وتحرص على إشغالهم بلعب ونحو ذلك كما في حديث الربيع بنت معوذ ولا بأس بحمل الصبى أثناء الصلاة حتي وإن كان متحملاً بالنجاسة إذ الصبى لا ينفك عن ذلك كما يقول ابن تيمية ، والحديث الذى فيه " جنبوا مساجدكم مجانينكم وصبيانكم " حديث ضعيف لا تقوم به حجة بل هو مصادم بالأحاديث الصحية الثابتة وقد كان النبى ﷺ إذا سمع بكاء صبى خفف من صلاتة لما يعلم من وجد أمه عليه ويسهل الجمع بين تطويل صلاة التراويح مع وجود الصبيان لو قامت الأم بما ذكرنا ، ويجوز مفارقة الإمام لعذر كخوف ضياع الولد .

(١٤) إذا ارتجت القراءة على الإمام فعليه أن يكرر الآية التى قبلها ثم يسكت فيفتح عليه أولوا الأحلام والنهى ممن يليه وإذا إستبان للإمام خطئه رجع عنه وإلا فهو مجتهد فى صلاته وقد يغلب عليه ظنه صحة قراءته وخطأ من يفتح عليه فلا يتابعة وإذا قرأ الإمام بإحدى القراءات الثابتة فلا سبيل لتخطئه أو الفتح عليه .

(١٥) إتفق العلماء على حرمة التشويش على المصلى ولو بتلاوة القرآن ، فعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ اعتكف فى المسجد فسمعهم يجهرون بالقرأءة فكشف الستر وقال : " **ألا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض فى القراءة** " رواه أبو داود والنسائى والبيهقى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ،

فيكف يكون الحال إذا إتسع وكثر عدد المصلين وارتفعت الأصوات بالكلام المباح .

(١٦) يجوز للإمام والمنفرد الصلاة بين السوارى لما رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر أن النبىﷺلما دخل الكعبة صلى بين السادتين " وأما المؤتمون فتكره صلاتهم بينها عند السعة بسبب قطع الصفوف ولا تكره عند الضيق .

(١٧) قال تعالى " **إذا تتلى عليهم أيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** "

وعن عبد الله بن الشخير قال رأيت رسول اللهﷺيصلى وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء " رواه أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وصححه وقالت عائشة : **يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق لا يملك دمعه وإنه إذا قرأ القرأن بكى** .... الحديث " رواه أحمد والترمذى وصححه ، وصلى عمر صلاة الصبح وقرأ سورة يوسف حتى بلغ إلى قوله تعالى " **إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله** " فسمع نشيجه (أى سَمع صوته بالبكاء) " رواه البخارى وغيره . فالبكاء من خشية الله مشروع وقد يُسمع مع حرصه على إخفاءه وإخلاص عمله لله ولا حرج فى ذلك ، ولكن الحرج في العويل والصياح ورفع الصوت بتكلف ، بحيث يشوش على المصلين ، روى حماد بن زيد قال : دخلنا على محمد بن واسع نعوده فى مرضه فجاء يحى بالبكاء يستأذن فقالوا : يحى البكاء فقال إن شر أيامكم يوم نسبتم إلى البكاء و عن عمران بن خالد قال : سمعت محمد بن واسع يقول : إن كان الرجل ليبكى عشرين سنة وأمرأته معه لا تعلم ، ولا ننسى أن من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، فاجتهدوا فى إخلاص الطاعات وستر القربات .

الفهرس